جــامـعــة الـــشـرق الأوســط
MIDDLE EAST UNIVERSITY

رؤية الموت في شعر محمد القيسي

The Vision of Death in the Poetry of Mohammed Alqaisi

إعداد الطالبة :

ملاك سعيد محمد شعبلو

الرقم الجامعي : 401320129

إشراف الأستاذ الدكتور:

بسّام قطّوس

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها.

قسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم

جامعة الشرق الأوسط

كانون الثاني 2016

تفويض

أنا ملاك سعيد محمد شعبلو أفوّض جامعة الشرق الأوسط بتزويد نسخ من رسالتي ورقيًا وإلكترونيًا للمكتبات، أو المنظمات، أو الهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها.

الاسم: ملاك سعيد محمد شعبلو.

التاريخ: 12 /١/٢٠١٦

التوقيع: ....

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها:" رؤية الموت في شعر محمد القيسي"

وأجيزت بتاريخ : ٢/١/٢٠١٦م

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور. بسام قطوس (مشرفًا) التوقيع:.................

الأستاذ الدكتور. عبد الرؤوف زهدي (رئيسًا) التوقيع:.................

الأستاذ الدكتور. محمد أحمد المجالي (مشرفًا خارجيًا) التوقيع:.................

الشكر والتقدير

الحمد لله والشكر له على كل نعمة أنعمها علينا ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد الصادق الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين.وبعد،

فإن من باب الوفاء أولاً، ومن باب الأمانة العلمية ثانيًا، أن أتوجه بجزيل شكري وصادق عرفاني وعظيم امتناني إلى الأستاذ الدكتور بسّام قطّوس، الذي أشرف على هذه الدراسة المتواضعة، وكان معي خطوة بخطوة، فكم أخطأت فقوّمني بحسن أسلوبه ، وكم أحسنت فكان لي محفزًا، لقد مهّد كل العقبات أمامي بحسن التوجيه، ولباقة المعاملة، فبفضل الله، وفضله استطعت الوصول إلى هنا.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء اللجنة الكريمة ، الذين تفضلوا مشكورين لمناقشة دراستي.

ففي إسداء الشكر آية وفاء، وفي إزجاء الحمد عرفان بالجميل.

الباحثة.

الإهــداء

إلى

من شاركني

تفاصيل دراستي من ميّتين وأموات.

قائمة المحتويات

الملخص باللغة العربية

رؤية الموت في شعر محمد القيسي

إعداد الطالبة

ملاك سعيد محمد شعبلو

إشراف

الأستاذ الدكتور بسّام قطّوس

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن رؤية الشاعر محمد القيسي للموت من خلال أعماله الشعرية، وقُسمت هذه الدراسة إلى أربعة فصول ، تناول الفصل الأول خلفية الدراسة وأهميتها، واشتملت على التعريف بالمصطلحات، ومشكلة الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، وحدودها، ومنهجيتها.

أما الفصل الثاني فقد جاء في مبحثين: قدّم المبحث الأول منه حياة الشاعر من جوانب مختلفة، وعرض المبحث الثاني الأدب النظري والدراسات السابقة للدراسة.

وأمّا الفصل الثالث فقد وقع في ثلاثة مباحث، درست مباحثه ظاهرة الموت، حيث يتحدث المبحث الأول عن ماهية الموت في تاريخ البشرية، والمبحث الثاني يرصد ظاهرة الموت في الشعر العربي الحديث، مع ذكر أمثلة لبعض الشعراء وموقفهم من الموت، وفي المبحث الثالث تناولت أشكال الموت في قصائد محمد القيسي، واشتمل على موت الأم، موت الأحبة، موت الأنا، موت الغربة والمنفى، موت الطبيعة، موت القضية، موت القصيدة .

أما الفصل الرابع ، فقد قدّمت فيه الباحثة الملامح الأسلوبية لقصائد الموت في شعر محمد القيسي، حيث تحدثت عن شعرية العنوان، شعرية الموت ، صورة الموت ، أسطرة الموت.

ثم بعد ذلك الخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة .

الكلمات المفتاحية: رؤية الموت في شعر محمد القيسي

The Vision of Death in the Poetry of Mohammed Alqaisi

Prepared By Student
Malak Said Muhammad Shabello
Supervised by
Professor
Bassam Quttos

This study aims at finding out the poet's vision, Mohammad Al- Qaisi view death through his poetry. The study consists of four chapters: the first includes background of the study, significance, definition of terms, statement of the problem, objectives limits as well as the methodology followed by the researcher.
The second sheds light two things: the first covers the poet's life from different perspectives while the second elaborates on relevant theoretical literature and the empirical studies.
The third covers three areas related to the phenomenon of death: the first area focuses on the concept of death through the human history; the second area is devoted to focuses on the phenomenon of death and its peresentation in the modern Arabic poetry haddition to citing some poets as well as their poetry on death; the third area sheds lights on different forms of death as presented by Mohammad Al Qaisi. The forms comprise themes related to mother's death, lover`s death, ego's death, exile's death, nature's death, palestinian death and poetry's death.
The fourth is an overlook of the stylistic features of Mohammad Al Qaisi's poems on death. The researcher talked about the poetic aspects of the title, the poetic of death, humanisation of death and the myth intertextuality. The study ends with some conclusions and some recommendations for further studies, in addition to the list of references, used in the bady of the research.

Keyword: The Vision of Death in the Poetry of Mohammed Alqaisi.

الفصل الأول
خلفية الدراسة وأهميتها

المقدمة:

تعد موضوعة الموت إحدى موضوعات الأدب العربي عامة، والشعر خاصة، إذ إن مفهوم الموت أخذ بالاتساع، وفقًا للمفاهيم الجديدة التي تبناها المعاصرون، وأخذت التراكيب الشعرية الجديدة تعج بهذه المفاهيم ، فتحمل أشكالاً مختلفة للدلالة عليه، فالحديث عن الموت، يخرج الإنسان من دائرة الواقع إلى دائرة الخيال ، إذ تتفتح أمامه مدارك مختلفة توصله في النهاية إلى وحدة العلاقة بين الحياة والموت.

والشاعر الفلسطيني "محمد القيسي" أحد هؤلاء الذين نظروا إلى الموت بمنظار آخر، فقد أمضى تجربة شعرية بين الحياة والموت، بل يكاد يكون استشعاره للموت قريبًا جدًا من حَدْسه، فقد مات مبكّرًا قياسًا إلى العمر الذي عاشه بعض أقرانه من الشعراء وأبناء جيله، ففكرة الموت سيطرت على تفكير الشاعر ومعتقداته ، إذ إن كل لحظة من حياة " القيسي" تحمل في طياتها موتًا متعدد الاتجاهات والأشكال.

لذلك نرى رؤية القيسي للموت تنطلق من وجهة نظرٍ خاصة، بوصفه إنسانًا احتلت أرضه، واقتلع منها عنوةً، فيظهر الموت عنده بأشكال مختلفة، تنافي شكل الموت الذي نعرفه، فالاحتلال، وضياع الوطن ، وفقدان الأصدقاء ، واقتلاع الشجر والحجر، والاغتراب في المنافي، كلها كانت محورًا لرؤية الموت بشكل مخالفٍ عن الشكل المتعارف عليه.

وعلى ما سبق، ستحاول الدراسة الكشف عن رؤية القيسي للموت من خلال أعماله الشعرية، وذلك باعتماد المنهج الوصفي التحليلي فيما يختصّ وصف ظاهرة الموت في شعره، فضلًا عن منهج تحليل النص الذي يستنطق مقاصد الشاعر وخفاياه الرمزية في قضية الموت وأشكاله .

ولا بد من الإشارة إلى أن كتاب" الأعمال الشعرية الكاملة" محمد القيسي(1999)، هو من أهم المراجع التي اعتمدت عليها الدراسة، فضلًا عن مجموعة من الكتب والدراسات التي أثرت الدراسة ومنها: "محمد القيسي /الشاعر والنص" لإبراهيم خليل، و"تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر" لعبد الناصر هلال، و"الموقد واللهب (حياتي في القصيدة)" لمحمد القيسي، و"سيمياء الموت"، لمحمد صابر عبيد.

أما الدراسات التي استعانت بها الباحثة ، فهي"التناص في شعر محمد القيسي" رسالة ماجستير، نداء إسماعيل ، و"الموت في الشعر الفلسطيني المعاصر" رسالة ماجستير، ديبه زياد شما، و" شعر محمد القيسي – دراسة أسلوبية"، رسالة ماجستير، حنان عمايره، و"شعر محمد القيسي – دراسة فنية"،محمد اللواح ، وغيرها.

وبعد اطّلاعي على مجموعة من المصادر والمراجع التي كان لها الأثر الكبير في توثيق محتوى دراستي والعمل على تزويدي بالمعلومات التي تدعم الدراسة، قُسمت هذه الدراسة إلى أربعة فصول ، تناول الفصل الأول خلفية الدراسة وأهميتها، واشتملت على التعريف بالمصطلحات، ومشكلة الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، وحدودها، ومنهجيتها.

أما الفصل الثاني فقد جاء في مبحثين: قدّم المبحث الأول منه حياة الشاعر من جوانب مختلفة، وعرض المبحث الثاني الأدب النظري والدراسات السابقة للدراسة.

وأمّا الفصل الثالث فقد وقع في ثلاثة مباحث، درست مباحثه ظاهرة الموت، حيث يتحدث المبحث الأول عن ماهية الموت في تاريخ البشرية، والمبحث الثاني يرصد ظاهرة الموت في الشعر العربي الحديث، مع ذكر أمثلة لبعض الشعراء وموقفهم من الموت، وفي المبحث الثالث تناولت أشكال الموت في قصائد محمد القيسي ، واشتمل على موت الأم، موت الأحبة، موت الأنا، موت الغربة والمنفى، موت الطبيعة، موت القضية، موت القصيدة .

أما الفصل الرابع ، فقد قدّمت فيه الباحثة الملامح الأسلوبية لقصائد الموت في شعر محمد القيسي، حيث تحدثت عن شعرية العنوان، شعرية الموت ، الصورة الشعرية للموت ، والتناص الأسطوري.

ثم بعد ذلك الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة .

ولله الحمد من قبل ومن بعد .

مشكلة الدراسة :

ستعمل الدراسة على بيان رؤية الموت عند الشاعر محمد القيسي، لأنها محور من محاور قصائده الأساسية، وقضية شغلت قلبه وعقله واستحوزت على تفكيره ، لذلك ستحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية :

1- كيف تشكلت رؤية الموت لدى الشاعر (اجتماعيًا ونفسيًا) ؟

2- كيف صور الشاعر أشكال الموت في شعره ؟

3- ما الخصائص الفنية والملامح الأسلوبية لقصيدة الموت عند الشاعر ؟

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح رؤية الموت في شعر محمد القيسي من حيث :

1- تبيّن دوافع بروز ظاهرة الموت في شعر القيسي .

2- الكشف عن ماهية الموت وأشكاله في شعر الشاعر .

3- تحديد السمات الفنية والملامح الأسلوبية لقصيدة الموت لدى الشاعر.

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في النقاط التالية:

* أهمية موضوع الموت الذي أخذ منحى مختلفًا في الشعر العربي قديمًا وحديثًا، إذ أصبح أرضًا خصبةً للإبداع، وحافزًا لإنعاش الخيال بالصور العاطفية، والمضامين الفنية المختلفة.

* إثراء المكتبة العربية بدراسة علمية ، تتناول موضوعًا يقصد منه إغناء التراكم المعرفي حول موضوع الموت في شعر محمد القيسي .

حدود الدراسة :

تقوم هذه الدراسة على تتبع قصائد الشاعر الفلسطيني"محمد القيسي" في كتاب "الأعمال الشعرية الكاملة" محمد القيسي(1999)، مبينة أهم القصائد التي توفّرت على موضوع الموت .

مصطلحات الدراسة :

الرؤية :

عرفها ابن منظور (1997) بقوله:

" الرؤية في اللغة النظر بالعين المجردة، وذهب بعض اللغويين إلى أن الرؤية في العين والقلب."

عرف هنّي(2011م/ ص 17) الرؤية الشعرية في دراسته بقوله:

"الرؤية الشعرية هي الصوت الصارخ الذي يدوّي في أعماق العمل الإبداعي، وليس يسمع هذا الصوت إلا متلقٍ منتجٍ لدلالة، مؤمن بانفتاح النص على قراءات متعددة، متجاوز حدود الدلالات المعجمية، مفض إلى الماوراء ".

والتعريف الإجرائي للرؤية: هو إدراك الأمور والتعبير عنها بلغةٍ فلسفية خيالية، تعانق الآفاق البعيدة ، والمجاهيل الدفينة .

الموت :

عرفه حسيبه(2009م/ ص147) بمفهومين :

"المفهوم الديني للموت: هو عبارة عن خروج الروح من جسم الإنسان، والانتقال إلى مرحلة الحياة الأخرى، التي تكون فيها الحياة خلودًا إلى ما لا نهاية ".

المفهوم الفلسفي للموت : "هو خلاص يسمح للنفس بأن تتحرر من سجنها الجسدي، وأن تتعرف إلى مصيرها".

وعليه فإن الموت: هو حياة أخرى ، تعج بأمور مادية ومعنوية تختلف عمّا هو موجود في الحياة الأولى .

منهجية الدراسة:

تتبع الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف ظاهرة الموت في قصائد الشاعر، مع الإفادة من منهج التحليل النّصي، الذي يسمح بالانتقال من الاهتمام بالظاهرة إلى الاهتمام بالعملية الإبداعية نفسها، وما تجود به من قيم فنية ودلالية، وما تشتمل عليه من ملامح أسلوبية وجمالية.

الطريقة والإجراءات:

سأعمد في دراستي إلى جمع المعلومات من المصادر والمراجع التي تُعنى بموضوع" رؤية الموت في شعر محمد القيسي"، ومن ثم أقوم بدراسة شعر الموت وتحليله بحثًا عن القيم الفنية والجمالية فيه، وبعد ذلك أرصد جميع النتائج والاستنتاجات التي توصلت إليها ، فأعرضها من خلال فصول الدراسة .

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة .

المبحث الأول: محمد القيسي حياته وشعره .

هو محمد خليل القيسي، شاعر فلسطيني، ولد في قرية كفر عانة، قضاء يافا عام 1944م، تنقّل مع العائلة في قرى فلسطين ، فعاش حياة التشرد والغربة والمنفى، ليستقر به الحال في مخيم الجلزون بالضفة الغربية عام 1950م، عاش يتيمًا في كنف أمه الصابرة ، وذلك بعد فقد الأب نتيجة إصابته برصاص الإنجليز.

تلقّى تعليمه الابتدائي في مدرسة المخيم، والإعدادي ما بين مدرسة المخيم ومدرسة بير زيت الحكومية. أما دراسته الثانوية، فكانت في مدينة رام الله. حصل القيسي على البكالوريس في الأدب العربي، وعمل عدة سنوات في سلك التعليم في مدينة الدمام (السعودية)، ثم أمضى أربع سنوات متنقلاً بين بغداد ودمشق وبيروت والكويت وبنغازي قبل أن يعود إلى عمان عام 1977م، ومنذ عام 1987م تفرغ للنشاط الثقافي والإعلامي.

بدأ القيسي كتابة الشعر مبكرًا منذ عام 1960م، وقام بنشر قصائده الأولى في مجلة (الأفق الجديد) ومجلة (الآداب)، وغيرها من المجلات الأخرى، وقد تأثر القيسي بالشعراء القدامى والمحدثين ، وانعكس ذلك في شعره. (1)

---

[1]- انظر : خليل، ابراهيم (1998)، محمد القيسي – الشاعر والنص،ط1، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص17 ، وانظر كذلك: الجيوسي، سلمى (1997)، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، الأردن: المؤسسة العربية للدراسات النشر ، ص 397 وانظر: صدوق ، راضي (2000)، شعراء فلسطين في القرن العشرين – توثيق انطولوجي، ط1 ،بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص556.

لذلك يعدّ القيسي واحدًا من الشعراء الذين لهم مشوار حافل بالإنجازات، وخاصة في مجال الشعر، إذ حصل على جائزتين مهمتين في الأدب، أولى هذه الجوائز هي جائزة (ابن خفاجة الأندلسي للشعر) عن ديوان "منازل في الأفق" التي منحها المعهد الإسباني العربي للثقافة في مدريد عام 1984 ، وفي العام نفسه حصل على الجائزة الثانية وهي جائزة (عرار الشعرية) التي منحتها رابطة الكتاب الأردنيين عن مجمل أعماله، بالإضافة إلى مشاركته في العديد من المهرجانات الشعرية العربية ،وكان أهمها: مهرجان الشقيف الشعري الأول عام 1981، والثاني عام 1983، ومهرجان جرش عام 1983، ومهرجان قرطاج في تونس عام 1986.وغيرها الكثير [1]

" إن الشاعر محمد القيسي أمضى في تجربة الكتابة ما يقرب من أربعة عقود قبل رحيله المبكر، متألقًا في عالم الكتابة والإبداع والحياة ، ترك فيها أكثر من عشرين مجموعة شعرية بدأت بمجموعة (راية في الريح)عام 1968، وانتهت بمجموعة (منمنمات أليسا) عام 2002، وترك في مجال الكتابة النثرية الموازية للكتابة الشعرية سبعة كتب متنوعة ، ابتدأت بكتاب (أرخبيل المسرات الميتة) عام 1982، وانتهت بكتاب (أباريق البلور– يوميات صحراوية) عام 2002، فضلاً عن كتابين للأطفال ، وكتاب آخر يمزج بين الشعر والنثر هو (ثلاثية حمدة) الذي يضمّ((كتاب حمدة– كتاب الابن– كتاب أوغاريت))، ورواية بعنوان (الحديقة السرية) التي صدرت عام 2002 أيضًا"[2].

---

[1]- الشاعر والنص ، ص18،ص20.، ص33.
[2]- عبيد، محمد صابر،(2010)، سيمياء الموت - تأويل الرؤيا الشعرية (قراءة في تجربة محمد القيسي)ط1، دمشق، ، دار نينوى /ص10
.

لقد جاء محمد القيسي إلى عالم الكتابة من لحظة ألم، ومن معاناة لا تعبر عن الذات فقط، وإنما تعبر عن تداخل ذوات تعيش نفس الألم... الشيء الذي تؤشر عنه وضعية الإنسان الفلسطيني، وخاصة هؤلاء الذين ظلّوا مرتبطين بقضية الأرض والوطن الأم .[1]

لقد ترك القيسي نتاجاً غزيرًا من الأعمال الشعرية ، وكان هذا النتاج ملاذه الوحيد في التعبير عما كان يشعر به في هذه الحياة، فالانكسارات المتتالية، والألم العميق ، لم يكن له دواء غير الكتابة، وكانت القصيدة بمثابة العزاء له [2]. وكأن الشاعر يسلم زمام أموره لقصائده ، فترسم له خطوات حياة جديدة ، تخرجه من دائرة الواقع الأليم، وقد وضح ذلك بقوله:" بعد صدور كل مجموعة شعرية جديدة لي، أحس أني قلت كل شيء، ولكني لا ألبث أن أواجه بجرثومة الشعر تلعب في دمي، فأتابع أسئلتي مدركًا أن قصيدتي الأخيرة هي قبري الذي سيكون صاخبًا وبسيطًا. إذ بذلك أُمنح حياة أخرى..."[3].

وكان لحركة الشعر الحر دورٌ كبيرٌ في بدايات محمد القيسي الشعرية، حيث اعتمد القيسي على الشعر الحر في أغلب قصائده، إذ أتاح هذا الشعر للقيسي "أن يزاوج بين الشكلين العمودي والتفعيلة، ويمزج البحور الشعرية بالتفاعيل، ويزاوج بين القوافي الموحدة والمتنوعة، فيسمح للشاعر أن يستخدم الألفاظ الدارجة والعامية أحيانًا، ويسافر في قصيدته مستخدمًا التضمين، والوقفات، والفراغات، والنقط، وهو ما لم يكن مسموحًا به في الشعر العمودي". [4]

---

[1] - من مقالة نشرت في جريدة " انوال المغربية" يوم 1992/11/24 بعنوان(تآلف الأشكال والأجناس) وانظر : الموقد واللهب ،ص257.

[2]- ينظر: حوار أجراه الناقد محمد صابر عبيد ،الموقد واللهب، مفاتيح التجربة وتحولات الشكل الشعري، **مجلة عمان** عدد 55/كانون الثاني 2000.

[3]- القيسي، محمد (1994)، الموقد واللهب – حياتي في قصيدة، عمان -الأردن : منشورات وزارة الثقافة، ،ص43.

[4]- الحنفي، معاذ محمد،(2006)، البنية الإيقاعية في الشعر الفلسطيني المعاصر، رسالة ماجستير، غزة، الجامعة الإسلامية، ص 30 .

ولقد تأثر القيسي بالشعراء الذين سبقوه، وقرأ شعرًا عربيًا قديماً ، وشعرًا معاصرًا كثيرًا.... وتأثر بالرواد من أمثال بدر شاكر السياب، وصلاح عبد الصبور، وأحمد عبد المعطي حجازي، ويذهب البعض إلى القول بأن القيسي تشبّع في بداياته بالمعجم الشعري لعبد الصبور وحجازي،[1] ويظهر ذلك بفروسية كلمته، وتجسيد مفرداته ، وموسيقى الأبحره الراقصة، والحكايات.

وقد أسهم الشعر العالمي بدوره في تكوين النسيج الثقافي لتجربة القيسي، ولعل الشاعر العالمي الإسباني (فردريكو غارثيا لوركا) من أكثر الشعراء الذين أفاد منهم القيسي في تجربته الشعرية ،" فهو أحد آبائه الشعريين، ومنذ عام 1964، وهو مفتون بفضاء الموت في أعماله الشعرية"[2]، ويؤكد هذا الأمر الأعمال الشعرية للشاعر محمد القيسي ، إذ إنه يذكر اسمه غير مرة في قصائده.

" **ليس لوركا هنا ليقطف الإيقاعْ**
ويغنّي من جديد
حَيْرة المحبوبْ
ليس من يمدح هؤلاء
ويكتب اسمهم
على قماشةٍ من دمٍ وقوتْ
ليس لوركا هنا ".[3]

" لقد أفاد محمد القيسي من طرائق (لوركا) في محاكاة الأغاني الفولكلورية في شعره، وإخضاع القصيدة للنغمة الشجية التي ترافق الكثير من نماذج الغناء الشعبي. وهذه الظاهرة برزت في شعر محمد القيسي، ابتداءً من قصيدة "الصمت والأسى"، وظلت تبرز في قصائده، وما تزال تلوح في بعض نتاجه الجديد من حين إلى آخر". [4]

1- خليل، ابراهيم، الشاعر والنص، ص 34 .
2- يوميات جرش، 1991، عمان، العدد 9 ، ص 7 .
3- الأعمال الشعرية،ج3/ 313 .
4- عبد العزيز، أحمد(1983)، تأثير لوركا في الأدب العربي المعاصر، مجلة فصول، مج3، ع4، ص273.

وفضلًا عن ذلك ، تأثر القيسي بالشاعر الأمريكي (والت ويتمان) ، ومعظم أشعاره التي تصوّر تأثره بهذا الشاعر ظهرت بعد عام 1991، ويرجح إبراهيم خليل أن القيسي لم يقرأ أعمال (والت ويتمان) باللغة الأم ، إنما اطّلع على تراجم سعدي يوسف لهذا الشاعر[1]،"لذلك نجد القيسي أعاد انتاج هذه القراءة برؤية شعرية ، تنسجم مع الموقف الفكري السياسي، فيبين لنا أن (وايتمان) شاعر يحمل الجنسية الأمريكية، وهو شاعر القيم الإنسانية، المدافع عن الحرية وكرامة الإنسان.[2]

من هنا جاء تأثر القيسي به من حيث موضوعاتُهُ الإنسانيةُ، والقضايا التي يدافع عنها، يقول القيسي:

" ومن جديد، على صدرك نضعُ وسامَ الوردةِ
وأوراقكَ الثبوتيةَ وقد مُهِرت باسمك:
المواطن العربي ذو الجنسية الكونية
والت ويتمان
لأنك لنا،
للعالم الإنسانيِّ البسيطِ الطيّبْ".[3]

ولعل هذه القراءات وغيرها ساعدت في إظهار موهبته الشعرية، فكان شعره يمثل ذاكرة الشعب الفلسطيني في أدق حالاتها حيويةً ونشاطًا وقوةً، ومرآةً تتجلى فيها آلام الشعب بدءًا من النكبة عام (1948)، ومرورًا بما يسمى بالنكسة عام (1967) بمراحل طويلة من التشرد [4]، فكان بامتياز المغني الجوال، وغرّيد الحزن الموزون، وعازف الشوارع، إلى أن ودّع الحياة في عمان ، في الأول

---

[1]- خليل، ابراهيم ، محمد القيسي – الشاعر والنص / ص 37.
[2]- انظر : عمايرة، حنان، شعر محمد القيسي، ص29.
[3]- القيسي، محمد ، الأعمال الشعرية، ج3/ص 414-415 .
[4]- خليل، ابراهيم ، محمد القيسي – الشاعر والنص، ص27 .

من آب عام 2003م، إثر جلطة دماغية حادة، عن عمر يناهز تسعة وخمسين عامًا، ودفن في مقبرة الرصيفة[5].

شعر محمد القيسي بين الزمان والمكان .

لا يمكن للباحث أن يقرأ شاعرًا مثل محمد القيسي إلا في سياق زمانه ومكانه، فالزمان بالنسبة للقيسي ومجايليه، هو زمان النكبات والنكسات، ففي النكبة (1948) ضاعت نصف فلسطين أو يزيد، وفي النكسة (1967) ضاع النصف الثاني، فأحكم الاحتلال الصهيوني قبضته على كل فلسطين، وهو ابن فلسطين الضائعة(المكان)، وابن النكبات والنكسات(الزمان).

لذلك كان الشاعر القيسي، متفاعلًا مع مجتمعه يشكل خطابًا ثوريًا مستلّاً من واقعه، فهو يصهر نفسه داخل قضاياه، ليحمل خطابه سمة المجتمع ولونه، فنجد العبارات والصور، وحتى الألفاظ المستوحاة من بيئته الزمانية والمكانية التي عاشها واندمج بها، وهو ما وجد عند القيسي، إذ عانى منذ طفولته وحتى بروزه شاعرًا، ألواناً من الظلم والاضطهاد من قبل الاحتلال بدءًا من النكبة (1948)، ثم ضياع ما تبقى من فلسطين بالنكسة(1967)، ففرض هذا على القيسي النزوح والهجرة ، فخرج من بلدته (كفر عانة) إلى مخيم الجلزون الذي يقع على مقربة من مدينة البيرة ، وهناك تفجرت طاقاته الإبداعية والتي كانت بدايته الشعرية، إلا أنها بداية مغموسة بالمعاناة، وأحاسيس النفي والغربة، إذ يقول في هذا الشأن" الجلزون قصيدتي الأولى التي فقدت، قصيدتي التي نشرها لي حنا مقبل في (جريدة فلسطين)"[1]. فيقول مصوّرًا ألمه في مخيم الجلزون :

---

[5]- اللوح، مراد عبد الله (2013)، شعر محمد القيسي "دراسة فنية"، رسالة ماجستير.جامعة الأزهر ،غزة، فلسطين ، ص7 .
[1]- القيسي، محمد(1997)، كتاب الابن سيرة الطرد والمكان، ط1 بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص 75 .

" الليل في الجلزون ، مَدَّ لنا سلالم من سهاد

وحكاية مجروحة الأبعاد، ما زالت تعاد ".[2]

ويمكن القول، إنه من الخيمة بدأ رحلة التجوال،" فالشاعر الفلسطيني لم يختر الترحال مقرًا إلا بعدما تعب بين ضلوعه ترحال المقر. فصار الترحال سمة دائمة لحياته حتى غدا المغني الجوال ، وأصبح التجوال نمطًا وتجربة حياة ، فهو يتزود منه بمعارف ورؤى جديدة ... وإذ أتجول فأنا أرى وإذ أرى، تختمر في داخلي عوامل شتى لا أبحث لها عن تفسير، لكني أسلمها قيادي ؛ لتفعل فيّ ما يخضّني ويحّرك كلّ ساكنٍ، وهذه هي الإرهاصات الأولى للكتابة".[1]

لقد تمركز المكان في قصائد القيسي المغترب عن وطنه، إذ هاجر إلى أماكن عديدة بحثًا عن معادلٍ للوطن المسلوب، لكنه لم يجده، وزاده هذا الأمر حنينًا إلى الوطن ، مما أدى إلى إنتاج القصائد التي يستعيد من خلالها صورة الوطن المفقود، وقد أكد هذا الأمر فخري صالح حين أشار إلى أثر المنفى على إنتاج القيسي " فالمنفى في انعكاسه على تجربة الشاعر، يولد إحساسًا بفقدان تاريخي ومكاني للأرض الفلسطينية فينتج نفسًا مغتربة في عالم مفارق". [2]

لذلك كان موضوع المنفى في شعر القيسي دافعًا قويًا لإبراز مكنوناته، وانفعالاته، ومخزونه الداخلي، يقول :

2- المصدر السابق ، ص.75 .

1- القيسي، محمد (2002)، الدعابة المرة، مقاربات المرأة ، المنفى،ط1دمشق ، دار كنعان للدراسات والنشر ، ص 131.

2- صالح، فخري،(1981) بتصرف عن: الوطن يرحل في إنسان ، موضوعة الاغتراب عند القيسي، مجلة الآداب اللبنانية /العدد5-6 /ص71 .

"آه يا وقتًا بلا وقتٍ

ويا موتًا بلا اسمٍ، ترصَّدْ ورقي

آه يا ضيفي الذي ينزل في بيتي

ويُدعى قلقي

نَجّني من سندس القول ،

ووزّع مِزَقي

واستلمني حجرًا يفضي إلى أهلي

ومهّد طُرقي ".[3]

ولعلّ قراءة القيسي للأمكنة أغنت النص الشعريّ، إذ إنه عمد إلى الربط بين المكان والعلاقات الإنسانية، فذكر في جُلّ قصائده أشخاصًا عاشوا معه وعاشروه في فضائه الزمني، فكانت بصماتهم واضحة في كلمات القيسي ووقفاته، وحتى في عنوانات قصائده ودواوينه، لأنه كان يعبّر عن الناس البسطاء والفلاحين المسحوقين المرابطين بالأرض، ليقدّم صورة عن الجماهير القريبة من نفسه وقلبه.

" **في مملكة التجوالِ رأيت هنا أمَّ صلاحْ**

تكنزُ طيَّ ملامحها الأثمارَ السريَّةْ

فأمُّ صلاحْ

امرأة كانت في عرس الأمواج تغنّي للّبحارةْ

كانتْ تقرأُ أسرار الريحِ الدوّارةْ ".[1]

ولا بدّ من الإشارة إلى أن الزمن ساعد في قراءة الأمكنة الشعرية عند القيسي ،لأنه يرى " المكان هو حركة في الزمان، مثلما الزمان حركة المكان ووعاؤه، فما من كتابة بلا مكان لأنه هويةٌ ودلالةٌ للزمان".[2]

---

[3]- القيسي، محمد ، الأعمال الشعرية ، ج2 ، ص296.

[1]- المصدر السابق، ج1 / ص 327-328 .

[2]- انظر : حوار أجري مع محمد القيسي من قبل مجلة عمان 2002/العدد 95، ص12 .

" وفي الأعمال الشعرية للقيسي، يظهر اتساع مساحة التجوال ما بين لندن وفاس والدار البيضاء وعمان وبيروت وروما، إذ أصبح التجوال سعيًا دؤوبًا للبحث عن المعاني المفقودة –معاني الحرية والأمان– فربما يجدها في ظلال الأماكن والكائنات. ولعلّ هذا ما يفسر لنا موقفه عندما زار (الجلزون) عام 1995 بعد اتفاقية أوسلو التي منحت بعض الفلسطينيين حق العودة، لكنه بعد ثلاثين عامًا من الغياب يفاجأ بالمكان وقد أصبح غريبًا عن صورته المحفورة في الذاكرة، فقد تغيرت الأماكن وتاه عن بيته في المخيم، فأصيب بالألم لهذا التغيير، فقرر العودة إلى عمان".[3]

ويبدو أن الشاعر بعد مشاهدته للمكان الذي غاب عنه ثلاثين عامًا ، أخذ يعيد حساباته حول (مخيم الجلزون) الذي منه كانت انطلاقته الشعرية الأولى وكان حضوره جليًّا في قصائده ، ومع ذلك عمد الشاعر إلى التغيير الذي يتناسب مع تلك الانطلاقة دون النظر إلى المكان الجديد، إذ قال:" ابتدعت مكان الأعماق المرتجى، المرغوب فيه ، وليس المكان الذي أعرف، لأن المكان الحقيقي تشوّه واختلف"[1]، وهذا تقريبًا ما شعر به الشاعر الفلسطيني محمود درويش حين زار رام الله ، بدلًا من العودة إلى قريته البروة التي احتلت عام (1948م).

ومن هنا يتضح للدارس أن القيسي حاول أن يستنطق العلاقة بين االمكان والزمان االلذين كان لهما أعظم الأثر في تشكيل شعريته، بما ينسجم مع ذاكرته وتجربته التي عاشها بعيدًا عن الوطن، وضمن حدود وضوابط تتعلق بالنص الشعري وشخوص الشاعر وأحداثه، فعمد إلى تحقيق الوطن المنشود من خلال القصائد والدواوين .

---

[3]- عمايرة، حنان إبراهيم،(2005)، شعر محمد القيسي (دراسة أسلوبية)، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، عمان،ص17.

[1]- انظر:حوار أجري مع محمد القيسي من قبل مجلة عمان 2002/العدد 95، ص20.

" يوصلني بابان إلى داري

الأول خلعته الرّيحْ

والثاني مزماري."[2]

لقد ساعدت هذه التركيبة الزمكانية على صبغ إبداع الشاعر وساقته في دروب مختلفة مما كان لها أثر إيجابي في مواصلة التجديد ومخالفة العادي والمألوف، فتنوعت أشكال القصيدة، من الشكل العمودي إلى الشعر الحر، فضلًا عن القصيدة الغنائية والنثرية، وما كلّ هذا إلا لأنه" يشعر بأن الأشكال جميعها، بصورة مفردة تضيق بما نحلم ولا تشكل الأداة الناجعة لمعالجة الواقع بشمولية".[3]

ويظهر ذلك جليًّا في دواوينه،" فديوان (راية في الريح) غلب عليه طابع الغنائية الرومانسية التي تواكب ظروف الشاعر، فهي تفيض بمشاعر الحزن والألم والانكسار ، يقول :

" ها أنا أحمل آلامي وأمضي عبر آلاف الدروب الشائكةْ

ليس ينئيني ابتعادٌ عنك يا ذات العيون المالكةْ

فأمديني بشوق لا يموتْ

إنه حُبّيَ باقٍ في قرار الأرض منقوشٌ على كلّ البيوتْ

آه عيناك تحيطاني، تُطلّان عَلَيّ

كيف لي أنْ أَملكَ الآن مفاتيح الحوار".[1]

---

[2]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية ج 2، ص516.

[3]- القيسي، محمد،(1994)، الموقد واللهب- حياتي في القصيدة، عمان ، وزارة الثقافة /ص 185.

[1]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية ج1/ ص 74.

ثم تبع هذا الحس الغنائي الشجي ديوانه الثاني (خماسية الموت والحياة) مع الميل إلى الحس القصصي الدرامي، وخاصة قصيدته (أيتها الغربة وداعًا) التي تروي حياة زميله في النضال الشاعر خالد أبي خالد.

" كان صديقي خالدْ

ممتلئًا بالحُبّْ

كان رقيقًا وعنيفًا كالنسمة والإعصارْ

كان معي في هذا البلد يُكابدُ غُربَتَه،

مرتقبًا سيلَ النّار".[2]

أما ديوانه (رياح عز الدين القسام) فلم تغب عنه الغنائية، لكنه أوجد فيه القصيدة الدرامية والمسرحية، وقد بدا ذلك واضحًا في قصيدته (عز الدين القسام)، يقول:

" في العاشرِ من أيلولِ الماضي
أعْوَلتِ الدنيا، وانشقَّ جدارُ البَيتْ
عن شيخٍ كان جريحًا ووقورَ الحزنِ، مهيبَ الصمتْ
بادرني مثلَ الدَّهشةِ، قالْ:
أنا عزُّ الدين القَسّامْ
هل تأذنُ لي،
أن أقضي اللَّيلةَ في بَيتِكْ؟
عزُّ الدينِ القَسّامْ!
لا أعرفُ أحدًا يحملُ هذا الاسمْ".[1]

---

[2]- االمصدر السابق، ص125.
[1]- المصدر السابق، ص 183-184 .

ولا شك أن الديوان (الحداد يليق بحيفا) قد امتزجت فيه عناصر شعرية كثيرة كان أهمها : الحس الدرامي والقصصي والغنائي مع توظيف للمفردات الشعبية "[2]. يقول:

" وجهك كان على النافذة الغربيّةْ

يحتشد سَنابلَ ظمأى وحمامًا زاجلْ

وجهُك كان بريد الساحلْ

يَشْحُبُ ويُضيءُ، ويَشحب ثانيةً كهلالٍ يغربُ،

أكتب أنَّك حاضرةٌ،

هل قُلتُ سلامًا؟

أم قبّرةُ البيْنِ على دِجلة تَدرجُ نَوْحًا". [3]

أما مجموعته (أرخبيل المسرات الميتة) فقد حظيت بمسمى جديد وهو النص المفتوح؛ لأنها لم تحمل شكلاً محددًا فهو" نص مفتوح فرَّ من قيد الشكل الواحد والجنس الواحد"[1]، وهي مجموعة "تشكل محاولة للإفلات من قيد الثابت، ففيها نجد الحوار المسرحي، واللقطة القصصية، والقصيدة والصورة الشعرية في بناءٍ فني لا تستطيع أن تسميه شعرًا أو قصة أو رواية أو مسرحية، فهي نص كتابي ولهذا سميته(مزامير أرضية)".[2]

إن هذا التبدل الذي طرأ على شكل القصيدة عبر تجربته الشعرية ، لم يكن ركضًا وراء أشكال وأجناس كتابية جديدة، إنما هو تعبير عن فلسفته في الكتابة والتفكير والبحث، إذ يقول: " لا أقيم طويلاً في شكل واحد، ولديّ رغبة عميقة في تهديم الشكل وفي الوصول إلى منطقة من الكتابة خارجة على حدود التصنيف، لا تمتّ بصلة إلى أي جنس أدبي. هكذا ألاحظ عليّ. وفي كتابتي طموح لتدمير هذه الحدود التي تقف ما بين جنس وآخر، أي النص المفتوح على مداه غير خاضع

2- خليل، ابراهيم ، محمد القيسي – الشاعر والنص/ ص 46.

3- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية ج239/1-240.

1- القيسي، محمد،الموقد واللهب- حياتي في القصيدة/ ص17.

2- حوار أجري مع محمد القيسي من قبل (مجلة الأفق) قبرص /عدد أيلول 1985 .

لصنف أدبيّ وليس معنيًّا بتسمية.لم لا؟ طالما هذا النص يقول الحرقة الإنسانية الطافية بما أرى وأعيش".[3]

لقد كتب القيسي من خلال رحلته في الزمان والمكان ، سيرة شعرية للعمر الهارب، والأمكنة والصور التي تتخبط داخل الذّاكرة، " فهو يجد في السفر متعته الكبيرة وخلاصه المرجوّ، وكأنه وهو يسافر يشغل نفسه عن الوطن والموت في آن واحد، ولعله يظنّ كما يظن الكثير من الشعراء، بأنه يضلل الموت فلا يجد له جسدًا ولا يعثر على مستقر . وهو في الوقت ذاته ينهب المدن والأصقاع والأوطان لكي ينسى المدن التي أُخرج منها بالقوة ، والنيران التي تشتعل في داخله ".[4]

المبحث الثاني : الإطار النظري والدراسات السابقة.

الإطار النظري:

لقد جاء كتاب خليل ، (1996)، تسجيلاً لحياة الشاعر وتجربته الشعرية ، إذ إن الكاتب قام بترجمة حياة الشاعر من خلال قراءة النص الشعري ، باعتباره صورة تعكس حياة المبدع والبيئة التي ظهر بها، وأشار إبراهيم خليل إلى أن شعر القيسي هو استيعاب لآلام الشعب الفلسطيني وأحاسيسه في المنفى، وأن الحزن هو محور اهتمام الشاعر والقطب الذي تدور عليه أشعاره المؤثرة. كما استعرض غربة الشاعر وتمثلها من خلال دواوينه، كما تابع التطور الشعري عند القيسي، ودور الكلمة في النضال الفلسطيني، وأشار إلى حالة التشاؤم والحزن التي استغرقت معظم قصائده .

وقد قدّم خليل في ختام كتابه كشافًا يضمّ الآراء والدراسات التي نشرت حول تجربة القيسي وسيرته الذاتية في الصحف والدوريات العربية .

---

[3]- العامري، محمد (2001)، المغني الجوال- دراسات في تجربة محمد القيسي الشعرية،ط1،بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ص 15.

[4]- انظر: بزيع، شوقي ،(1997) ، كوكب الحياة البديل، مقالة نشرت في مجلة (الآداب) اللبنانية، العدد 2/1 كانون الثاني وشباط، وانظر القيسي، محمد، الأعمال الشعرية ج2 / كتابات حول الأعمال ص 699.

وتناول النجار، (1997)، موضوعات الشعر الحر في الأردن، ومن ضمنها موضوع الموت الذي كثر عند الشعراء المحدثين، ومنهم الشاعر محمد القيسي الذي كان الموت محور قصائده ، وأنه عالجه معالجة فلسفية، وتطرق إلى الموت النفسي وأبعاده وآثاره،ويظهر هذا الأمر من خلال العرض الذي قدمه المؤلف حول بعض قصائده ومنها: "كم يلزم من الموت لنكون معًا"، و"موت أمير فلسطيني"، و"ظهور عز الدين".

أما العامري،(2001)، فجاء كتابه ليوثق التجربة الشعرية لدى محمد القيسي من خلال أقلام النقاد والكتّاب، الذين استهواهم شعر محمد القيسي، وإنجازه الإبداعي الملفت، وكأنه يعكس بذلك الملامح العربية عموماً، والفلسطينية على وجه الخصوص، عبر مراياه، في دعوة لرؤية الذات عن قرب وعناقها. وقد كان اختيار المقالات التي ضمّها هذا الكتاب متنوعاً ومحيطاً بدءاً من الشهادات، حتى المقالات التطبيقية، مروراً بالدراسات التي تناولت جدلية الحياة والقصيدة، لتتضح نقدياً صوره وشعره وموقعه في الخارطة الشعرية في العالم العربي.

وتحدث هلال،(2005)، عن علاقة الإنسان بالموت وانشغاله به، ثم علاقة الشاعر واهتمامه بالموت منذ الجاهلية وحتى العصر الحديث، وتطرق إلى عدد محدود من الشعراء وهم : بدر شاكر السياب ومحمود درويش، وأمل دنقل .

وأبرز مفهومًا جديدًا للموت، وأسماه "انهيارًا"، ثم عنونه وفقًا لمعطيات الواقع المعيش،وتأمل المصير الإنساني الذي يترقب كل شاعر على حدة.

ويعود خليل (2006)، ليتناول ظاهرة الشعر الحديث في فلسطين والأردن ، من خلال دراسة مجموعة من الشعراء في البلدين الشقيقين منهم :عرار، تيسير السبول، محمد القيسي، أمين شنار، وغيرهم. وقام الكاتب بمعالجة ظواهر أسلوبية في شعرهم منها الانزياح، والرمز، والتكرار، بالإضافة إلى أنه قام بدراسة موضوعات الشعر، ومنها الموت، وقد تناوله عند محمد القيسي، حيث ذكر الدواوين والكتابات التي تحدثت عن فضاء الموت عند الشاعر منها : "راية في الريح" 1968، "ثلاثية حمدة" 1997 ، و"المصلوب" و"الصمت والأسى" وغيرها.

وقدم عبيد،(2010)، تجربة الشاعر القيسي بدراسة سيميائية، ساعيًا بذلك إلى افتتاح مسار جديد في الكتابة النقدية ، إذ يتسم أسلوبه بالطرافة النقدية والعمق التأويلي الذي استقرأ فيه الناقد نبوءة القيسي لموته، وضمّ الكتاب في فصله الأول مقدمة سير ذاتية ، ثم مدخلاً في منهجية النقد السيميائي.

أما الفصل الثاني من الكتاب فضمّ رسالة الناقد إلى القيسي قبل وفاته، ورسالة أخرى إلى القيسي بعد وفاته ، وضمّ الإهداءات الشخصية لكتب القيسي إلى الناقد بالإضافة إلى الرسائل الشخصية للناقد من القيسي، وقد حشد الناقد شبكة كبيرة من الدلائل التي تشير إلى تجلّي صورة الموت في شعره ونثره ورسائله.

الدراسات السابقة والموازية.

لم تعثر الباحثة على دراسة سابقة مستقلة تناولت موضوع الدراسة، لكن هناك عددًا من الدراسات التي يمكن أن نعدّها من باب الدراسات الموازية والمساعدة ،هي:

شما(2002)، **الموت في الشعر الفلسطيني المعاصر1963-1995:**

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان جانب الموت في الشعر الفلسطيني المعاصر في فترة محددة من (1963-1995) وتدرس نظرة الشعراء لهذا الجانب، ورصد إشكالية الموت في شعرهم، وأثره في حياتهم وأدبهم. وتطرقت الباحثة إلى مجموعة من الشعراء الفلسطينيين أمثال: محمود درويش، وسميح القاسم.

عمايرة،(2005)، **شعر محمد القيسي – دراسة أسلوبية:**

تتناول هذه الدراسة شعر محمد القيسي دراسة أسلوبية هادفةً إلى تحليل نتاجه الشعري في ضوء تضافر المناهج، وتبيّن أنه يملك صوتًا شعريًا خاصًا في حركة الشعر العربي المعاصر، وعرضت أهم مصادر تجربته الشعرية رابطةً بين التشكل الفني والبعد النفسي للشاعر .

ورأت الدراسة أن القيسي شاعر استطاع أن يرتقي في معطيات النظام اللغوي، واستغل الإمكانات الأسلوبية فيه؛ ليخدم النص الشعري من الناحية التعبيرية والتأثيرية والجمالية، وذلك لأنه جمع في النص الواحد تقنيات متعددة.

إسماعيل، (2012)، **التناص في شعر محمد القيسي:**

تتبعت الباحثة أشكال التناص المختلفة في نصوص القيسي ، وقامت بربطها بمصادرها، محاولةً تحليل دلالتها الموضوعية والفنية، موظفة المنهج التحليلي ؛ لتذوق النص الشعري ، وإبراز أثره وروعته وتوضيح مغزاه، والكشف عن أهم المؤثرات التي ساعدت في تكوين شخصية الشاعر .

اللّواح، (2013)، **شعر محمد القيسي "دراسة فنية:**

وهذه الدراسة هي محاولة لقراءة شعر محمد القيسي بمنظور يتيح للقارئ فهمًا أعمق لهذا الشعر، والتعرف على الخصائص الفنية فيه، وإبراز مواطن الحنين والعروبة والموت، والجوانب الإنسانية وغيرها . بالإضافة إلى كيفية توظيف الرمز والصورة والموسيقى، والملامح الحداثية بأنواعها، وغيرها من القضايا الفنية.

ما يميز الدراسة عن الدراسات السابقة:

تمتاز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة ، بأنها ستعمل على جمع كل ما هو متعلق بموضوع الموت عند الشاعر "محمد القيسي " من خلال أعماله الكاملة ، وتقوم بدراستها دراسة نقدية تكشف عن رؤية القيسي للموت والخفايا الكامنة وراء قصائده الشعرية المتعلقة بذلك.

الفصل الثالث

ماهية الموت وأشكاله في شعر محمد القيسي.

المبحث الأول: ماهية الموت .

لم يلهب خيال الإنسان فكرة كما ألهبته فكرة الموت، ولم يثر عقله من أفكار كهذه الفكرة. لذلك نجد" علاقة الإنسان بالموت علاقة حياة، وإثبات أحدهما يعني في الوقت نفسه إثبات الآخر وهذه العلاقة الجدلية تمنح الإنسان فرصة إدراك النقيض، فتبقى رغبته في الحياة أكثر حضورًا واستحواذًا على مشاعره وفكره ، لأنه يعرف أن الموت قضاء على ما يعرفه، حتى وإن مارست الحياة قسوتها عليه..."[1].قال تعالى:" **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**"(سورة ق- آية (19))، والموت أشد ما يحاول المخلوق البشري أن يروغ منه , أو يبعد شبحه عن خاطره . ولكن أنى له ذلك، والموت طالب لا يمل الطلب , ولا يبطئ الخطى , ولا يخلف الميعاد.[2]

لقد كان حلم الإنسانية الأكبر أن تتوصل يومًا إلى القضاء على الموت. وكثيرًا ما زعم بعضنا أنه لن يموت، لأنه ليس ثمة ما يبرر موته، لكنه يصطدم بالواقع المعيش، أنّهُ ما من حيٍّ إلا ويموت يومًا ما، مصداقًا لقوله تعالى: " **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** "(سورة الزمر- أية (30)).

1- هلال، عبد الناصر(2005)، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر ، القاهرة : مركز الحضارات العربية ، ،ص 12 .
2- قطب، سيد(2003)، في ظلال القرآن، ط32، دار الشروق، الجزء 6/ ص3358.

إن الموت جزء من الحياة ، وعنصر مكون للوجود، فجاء في الكتاب الكريم::" **قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**"(سورة الجاثية، آية (26)) .

"وقال نيتشه: حذار أن تقول : إن الموت مضاد للحياة ، وقال كلود برنار: الحياة هي الموت."[1]وقال القديس بولس:" بموتكم تتوحد حيواتكم مع المسيح في الرّب".[2]

ويبدو أن موت الكائن وحياته هما جزء من جدلية الكون كله، ولايمكن تصور وجود الحياة دون وجود الموت .لذا شغل الموت الإنسان منذ بدء التاريخ، وحاول البشر – كما أكدت أساطيرهم الأولى – اكتشاف ماهية الموت على أمل التغلب عليه، وتحقيق الخلود ، لكنهم أخفقوا فهربوا إلى الأمام رافضين إخفاقهم وقالوا بحياة أخرى، يقهرون الموت من خلالها، ويحققون الخلود الأبدي.[3]

وتعد "ملحمة جلجامش" المتعلقة بحضارة الرافدين مثالًا واضحًا على ماهية الموت، فهي مغامرة لفهم الموت والتصدي له بالخلود، ولكن تم اكتشاف حتمية الموت في أقدم الوثائق المعروفة لنا حول الموت، من خلال موت أنكيدو واكتشاف جلجامش المدهش له، وهو أنه سيلقى المصير الرهيب نفسه وذلك الأسى الذي لقيه صديقه الأقرب أنكيدو، فقال جلجامش في ذلك:

---

[1]- شورون جاك (1984)، الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف ، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد76 ص 95 .

[2]- الكتاب المقدس، رسائل بولس الرسول، بيروت، دار الكتاب المقدس .

[3]- مشوح، وليد (1999)، الموت في الشعر العربي السوري المعاصر، دمشق: مطبعة اتحاد الكتاب العرب،ص19-20 .

" أي نوم هذا الذي غلبك وتمكن منك؟ لقد طواك ظلام الليل فلم تعد تسمعني، إذا ما متّ؛ أفلا يكون مصيري مثل مصير أنكيدو؟ ملك الحزن والأسى روحي، وها أنذا أهيم في القفار والبراري خائفًا من الموت".[4]

وجاءت الديانة المصرية التي لم تحاول حل لغز الحياة والتغلب على الموت، وبدل ذلك جعلت الحياة الدنيا كلها مقدمات للحياة الأخرى. ووقفت من ظاهرة الموت نفسها موقفًا واقعيًا، فآمنت بحتميته واستسلمت له، ولم تبحث عن أسباب قدومه أو مبررات هذا القدوم ، فهي تؤمن بفكرة الخلود من خلال البعث بعد الموت، وأن الحياة الأخرى نعيم وجحيم، سعادة للصالحين وشقاء للطالحين [1].

أما الديانات الهندوسية فقد رفضت أن تقف خائرة القوى أمام الموت، فتوصلت إلى قول: إن الجسد وحده هو الذي يموت، أما الروح فهي خالدة غير مائتة، وسيأتي اليوم الذي تتحد فيه روح الفرد مع الروح الكبرى الكلية المطلقة، لتنعم بخلود ونعيم أبديين. وبالتالي جعلت الديانات الهندوسية سهام الموت تصيب جسدًا لا روح فيه، وجثة لا حياة فيها ولا حركة، فخفف بذلك من جبروت الموت وسطوته.[2]

" إن الموت موضوعة قديمة تمثلها الإنسان منذ القدم، وقد طرح (شورون) تاريخية الموت كإجابة عن سؤال يقول: متى اكتشف الإنسان الموت؟ فأجاب بشاهد من (فولتير)عندما ذهب إلى القول بأن الجنس البشري هو الجنس الوحيد الذي يعرف أنه سيموت، وهو يعرف ذلك من خلال التجربة، ومعنى ذلك أن الحيوان ليس لديه ولا حتى الإحساس الغامض بقرب نهايته، وأن الإنسان هو

---

[4]- شورون جاك ، الموت في الفكر الغربي، ص22.
[1]-انظر: العودات، حسين (1986)، الموت في الديانات الشرقية ، ط1، دمشق : دار الفكر ، ص45- 48 .
[2]- ينظر : الموت في الديانات الشرقية ، ص11 .

الوحيد الذي لديه إدراك واضح بالموت. ويذهب شورون إلى أن الإنسان البدائي لم يستنتج من حالات الوفاة التي شاهدها أن الموت ضرورة حتمية للوجود البشري، وإنما كان يردّه باستمرار إلى عوامل شريرة، وأن هناك قطاعات كبيرة من البشر يعتقدون اعتقادًا جازمًا بالحياة الأخرى بعد الموت، فكأن الموت في هذه الحياة الدنيا ليس نهاية كل شيء، وإنما هو نهاية لضرب من الحياة ، وبداية لضرب آخر منها". [3]

وعلى ما سبق، يمكن القول إن الإنسان لم يستسلم للموت ، ويظهر ذلك من إبداعه لعالم أسطوري يتغلب فيه على الموت من خلال الانبعاث،" ففكرة الانبعاث توجد في كل مكان وكل زمان ، وقد كانت وسيلة سحرية للشفاء في بدايات الطب القديم، وهي التجربة الصوفية الأساسية في عدد كبير من الأديان، والفكرة الرئيسة في فلسفة الغيب خلال القرون الوسطى، وتعد وهمًا طفوليًا يراود الإنسان في مراحل مختلفة من حياته"[1].

"وإذا كان الخوف من الموت هو الشعور العام عند كل إنسان، فإن هذا الشعور يتناقص كلما ازداد الإيمان بوجود إله واحد، وأن هناك بعثًا وحياة أخرى بعد الموت، وأن هناك حسابًا ونعيمًا وعذابًا، إذا آمن الإنسان بكل ذلك تلاشى عنده الإحساس بالخوف من الموت، وتحِلّ بدلًا منه سكينة دائمة"[2].

وجاء الإسلام ونزع بذور الخوف والرهبة من الموت، وزرع مكانها الطمأنينة والسكينة، فالله تعالى خلق الموت والحياة ليمتحن القلوب المومنة، والتي تعدّ الموت ولادة جديدة ، قال تعالى :"**الّذي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَياةَ لِيَبلوكُم أَيّكُم أَحْسَنُ عَمَلاً** "(سورة الملك ، الآية 2)." كما ربط الإسلام

---

[3]- شورون جاك ، الموت في الفكر الغربي، ص 8، وانظر : مشوح، وليد ، الموت في الشعر العربي السوري ،ص 31.
[1]- ينظر: عوض،ريتا، (1978)، ،أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات ص40.
[2]- عبد الخالق، أحمد محمد (1987)، قلق الموت ، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ص 176 .

مفهوم الحياة والموت معًا بفعل إلهي واحدٍ، فالله سيد الكون ، وهو سيد الحياة والموت، فهو الكل المطلق. مبدأ كل وجود وإليه ينتهي كل وجود".[3]

" وهكذا دخل الموت في تكوين فلسفات المجتمعات وقيمها، وأسهم في رسم ملامح العلاقات والمذاهب الفكرية. ثم جاءت الديانات التوحيدية فقالت كلمتها، ووضعت الحياة الدنيا والآخرة في إطار فلسفي جوهره الموت، ولحمته تلك العلاقة بين ماقبل الموت وما بعده".[1]

إذًا كانت فكرة الموت، ودورة الحياة والبعث، هي الفكرة المركزية في الدين والأسطورة، والفكرة الأساسية التي يتمركز حولها شعور الفرد بالماضي والحاضر، ولم يأخذ تجسيده وتشكيله كفكرة إلا بولادة الإنسان ككائن واع قادر على إكساب قوانين الطبيعة تفسيراتها ومدلولاتها ومصطلحاتها.[2]

وفي نهاية المطاف، وبعد الاطلاع على بعض الدراسات والفلسفات المتعلقة بالموت، نصل إلى أن الموت هو سر من أسرار هذا الكون، أو لغز يمكن الوقوف على حله بشتى الوسائل، لكن دون الوصول إلى نهاية حتمية، لأن مفهوم الموت وكينونته تكمن في الذي يتحدث عنه، أي صاحب الحال، وهو أمر يتعلق بدواخل نفسية وفكرية غير مكشوفة للعيان، لذلك يصعب الحكم عليها ومعرفة ماهيتها .

[3]- منصور، محمد منير(1987) ، الموت والمغامرة الروحية، دمشق: دار الحكمة، ، ص48 .

[1]- شما، ديبه، الموت في الشعر الفلسطيني المعاصر،ص13 .

[2]- انظر:ابراهيم ، زكريا،(1971)، مشكلة الإنسان.ط1، مصر ، دار مصر للطباعة ص117 بتصرف.

المبحث الثاني: الموت في الشعر المعاصر .

يعد الشعر أكثر الفنون ارتباطًا بالموت، لأن الشعر يرينا جوهر الأشياء لا ظواهرها، ويذهب باللغة بعيدًا عن وجهها الذي نطالعه مباشرة، لأنها تخضع لتجربة الشاعر، فالشاعر أكثر إحساسًا بقضية الموت والفناء ، لأنه أكثر تأملًا في الوجود والعدم، فهو يستبطن الأشياء، ويتغلغل فيها، ويتابعها وهي في أوج حركتها وديمومتها،إنه يكسر الحاضر الآني، منطلقًا إلى الآتي[1]." فيمكن أن نفهم الشعر على أنه شيء يدفعنا إلى تأمل الجذور في كل شيء، وإلى إعادة صوغ موقفنا من المسلمات القديمة بضربة واحدة، فالشعر دعوة جارفة إلى الهدوء المفكر، الهدوء اللامتناهي الذي تنشط فيه كل الطاقات والعلاقات".[2]

والموت جوهر يقيني في العقل الباطن عند الشاعر المعاصر، ، وهو يحاول دائمًا الهروب من هاجس هذه اليقينية الجوهرية بشتى الطرق والأساليب، فتشعب هذا الهاجس، وظل في قرارة عقله كحقيقة حادثة ذات زمن، ولكنه يدأب للوصول إلى النجاح في تجميده، والبحث عن وسائل تدفع هذا الهاجس إلى قناعة بديلة تولد إشكالية جديدة في التّصوّر والخيال.[3]

ولا شك أن رؤية الموت عند الشاعر نابعة من الانفعال " إذ يتكون في حياة الشاعر مثلث من القيم زواياه الثلاث هي : الانفعال والشعر والموت، فالشاعر يحب الانفعال لأنه يؤدي إلى الشعر.

[1]- انظر: هلال، عبد الناصر، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، ص 13.
[2]- العزب، محمد أحمد (د.ت) أصول الأنواع الأدبية، المنصورة: دار والي الإسلامية للنشر والتوزيع، ص 80.
[3]- انظر: مشوح، وليد ،الموت في الشعر العربي السوري المعاصر، ص 125.

على أنه يلاحظ أن الانفعال هو الموت، لأن الأول طريق محتّم للثاني، ومن ثم تبدأ مرحلة من الغرام بالموت نفسه تقابل الغرام بالشعر، حتى تصبح الألفاظ الثلاثة في معنى واحد كأنها مرحلة ينعدم فيها الطريق بالغاية، وحتى ينتهي إليه في وحدة متينة لا انفصام لها".[1] "ونرى الإنسان الشاعر حين يعاني قلق الموت أو يفكر فيه، لا بدّ من أن تخطر له خواطر كثيرة تتعلق بالموت، فقد يتساءل: أين أموت ؟ومتى يكون ذلك؟ ومن يكون حولي؟ وماذا يقول الناس عني بعد الموت؟ وقد يتساءل عن مصيره بعد الموت...، وغير ذلك من الخواطر والهواجس التي تصاحب عادة التفكير بالموت ".[2]

وقد ارتبط الموت بالتجربة الشعرية العربية المعاصرة من خلال عدة سياقات، السياق السياسي، والاجتماعي، والثقافي، والاقتصادي، وأصبح معادلًا لانهيارات التاريخ القومي، كما ارتبط بالموقف الذاتي والفلسفي لكل شاعر حسب طبيعة تكوينه، والعوامل الاجتماعية التي تعرض لها ونبت في ظلها فشكلت جزءًا من أفقه ووعيه وإحساسه بالموت.

وتعد الظروف الخاصة هي البذور الأولى لظهور هذا الإحساس المبكر بالموت في الوقت الذي ينبغي فيه أن يتطلع الشاعر في باكورة عمره لمستقبل مليء بأحلام متدفقة ومشاعر فياضة، تجعله يدير ظهره للموت، إلا أن تلك الظروف، جعلت دواوين وقصائد شعراء كثر تفوح برائحة الموت أو طعمه. ونلمس ذلك في أمثلة كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، " الشاعر الرومانسي النزعة **عبد الرحمن شكري** ، الذي أدخل موضوع (عشق الموت) إلى الشعر العربي الحديث، فقد أولع به ، ومزج أفكاره بإدراكه الحسي ، ورآه مخلّصًا للإنسانية من الألم ، وصاحبًا حميمًا، وملاذًا لكل طارق وملهوف.

---

[1]- الملائكة، نازك، ،قضايا الشعر المعاصر، ص305 .

[2]- عصله، أحمد (1995)، الموت في الشعر العربي الحديث، أطروحة دكتوراة، جامعة حلب، سوريا، ص 154.

وقد تجلى الموت في قصائده حتى جاءت قصائد كاملة تمتلئ بالموت كما تشير عنواناتها: الجمال والموت، النساء في الحياة والموت، وخطرات في الحياة والموت، فهو الشاطئ الذي ينشده طلبًا للتخلص من آلام الواقع وقسوته".[1]

أما الموت عند **أبي القاسم الشّابي**، فهو عبارة عن عامل مدمر، يقضي على كل شيء جميل، فقد أخذ منه أعز أحبابه (الوالد والحبيبة)، ومن هنا بدأت رحلة الاستبطان والنظر إلى المصير الإنساني عند الشابي، فهو عاش حياة قصيرة ، مليئة بالبؤس والفقر والمرض، لكنه ظل حتى آخر شهقة متمسكًا بالحياة، متحديًا للموت، رانيًا إلى المستقبل، مؤمنًا بالخلود.[2]

سـأعـيش رغم الداء والأعـــداء   كالـنسر فـوق القمة الشماء

أرنو إلى الشمس المضيئة..هازئًا   بالسحـب والأمـطـار والأنـواء

لا أرمــق الظـل الكئيب.. ولا أرى   ما في قـرار الهـوة السـوداء

لا يطـفئ اللهب المؤجج في دمي   موج الأسى وعواصف الأرزاء [3]

ولا ينكر على الشاعر ضعفه في بعض الأحيان واستسلامه للموت – في ظل رحلة العذاب والألم والكمد– بوصفه مخلّصًا له، فالحياة بالنسبة له تمزقت ، وتشوهت ملامحها، وفقدت طعمها، فأصبح الموت بديلًا ومخلصًا لمعاناته.[4]

---

[1]- أبو العزم، طلعت ،(1995) ،الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث،مصر، دارعين للدراسات، ص 12.
[2]-انظر: مشوح، وليد، الموت في الشعر العربي السوري المعاصرص339 .
[3]- الشابي، أبو القاسم،(1987)،ديوان أغاني الحياة، تونس، دار المعارف للطباعة والنشر، ص 206 .
[4]- انظر: هلال، عبد الناصر، تراجيديا الموت ،ص 18.

يـــا موت قد مزقت صدري وقـصمت بـــــالأرزاء ظـهــري

مـــاذا تــود وأنـــت قـــد ســــــودت بالأحـزان فـكـري

وتـركـتـنـي فـــي الكـــائنا ت أئـــن منفـــردًا بـــإصـري

وأجـــوب صحـــراء الحـيـــا ة أقـــول أين تـــراه قـــبـري؟[1]

وعند شاعر الحداثة الأكبر **بدر شاكر السياب،** يظهر أنه منذ طفولته منذور للموت، بالمرض الذي هاجمه، والجوع والفقر، كل ذلك جعل الشاعر يتطلع إلى الموت على أنه خلاص ومصير إنساني، يتأمله، ويغوص في أعماقه، وذكر هذا الأمر من خلال عنوانات قصائده وكلماته مثل: "**نداء الموت**"،" **ووصية من محتضر**"، "**ونسيم من القبر**"، "**وحفار القبور**"...إلخ.[2]

" **ليت أن الحياة كانت فناء**

قبل هذا الفناء، هذي النهاية

ليت هذا الختام كان ابتداء". [3]

ويقول أيضًا:

"**إني سأحيا لا رجاء ولا اشتياقَ ولانزوع**

لا شيء غير الرعب والقلق المُمضّ على المصيرْ

ساء المصير !

رباه إن الموت أهون من ترقُّبه المريرْ".[4]

1- الشابي، أبو القاسم، ،ديوان أغاني الحياة ص 158.

2- ينظر: هلال، عبد الناصر، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، ص 19.

3- السيّاب، بدر شاكر (1997)، ديوان بدر شاكر السيّاب، بيروت : دار العودة ، ص 447 .

4- المصدر نفسه ،ص 242-243 .

وفي ظل هذه الظروف التي عاشها الشاعر بدر شاكر السياب، تحولت رؤى الأشياء إلى موت، بل إن الموت هو الرؤية الخاصة التي تفسر وجوده في رحاب الواقع المتهالك، إذ إن الموت تحول إلى أسطورة ... أصبح نداءً أسطوريًا ، يدعو للنضال من أجل الخلاص. [1]

وشعرية **أمل دنقل** في الموت عبارة عن جدلية بين الحياة والموت، إذ إنه يرغب في الحياة رغبة جارفة، ولكنه يرغب في الموت بوصفه مخلصًا من الانهيار الذي يعانيه المجتمع والذات، حيث الموت في هذه الحالة يعلي من شأن الحياة ، ويضفي عليها معنى أسمى، لأن الذات الحرة الأصيلة لا الإنسان الصورة ، حينما تطبق الضرورة على حريته، وتشل الحاجة إرادته ، وتختنق في فمه الكلمات، فإن الموت لابد أن يجيء ليفتح له النافذة، ويرى دنقل أن الموت المعنوي والانهزام والانكسار أكثر فداحة من الموت البيولوجي(مفارقة الروح للجسد)،لأن الثاني يعانيه الفرد في لحظة خاصة ، أما الأول فهو موت أشد وطأة وألمًا.[2]

" مُعَلّقٌ أنا على مشانقِ الصباحْ

وجبهتي – بالموت – محنية!

لأنني لم أَحْنِها ... حَيّة!

يا إخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقين

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الإسكندر الكبير

1- هلال، عبد الناصر، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر،ص21 بتصرف.

2- انظر: المرجع السابق ص28 /ص32 .

لا تخجلوا.. ولترفعوا عيونكم إليَّ

لأنكم معلقون جانبي.. على مشانق القَيْصَير

لربما.. إذا التقت عيونكم بالموت في عيني :

يبتسم الفناء داخلي.... لأنكم رفعتم رأسكم مرة ".[1]

لقد عالج أمل دنقل موضوع الموت بطريقة خاصة، ووقف عنده وقفات طويلة، متأملًا الظواهر الحياتية لفلسفة الحياة والموت، ومجسدًا تلك المفارقة بين الأضداد، فهو يلجأ لموجودات الطبيعة من طيور وخيول وزهور، ليتخذ منها أقنعة يختفي خلفها، ليقارن الطيور في حالتي التحليق، وانتظار سكينة الذبح، والخيول في حالتي جموحها وكتابة الفتوحات بدمائها، وحالتها حين تتحول إلى تماثيل في الميدان، وكذا الزهور في حالتي: جلوسها على عرشها في البساتين، قبل أن تواجه لحظة القصف والقطف، وحالتها حين أصبحت سلعة رخيصة تباع في الأمكنة وتحمل اسم قاتلها في بطاقة.[2]

" تَتَحدثُ لي الزَهراتُ الجميلةُ

أن أَعيُنَها اتَّسَعَتْ – دهشةً–

لَحظةَ القَطْف،

لَحظةَ القَصْف،

لحظة إعدامها في الخميلهْ

تَتَحدثُ لي..".[3]

---

[1]- دنقل، أمل (1998) الأعمال الشعرية الكاملة ،ط2، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص110.
[2]- قطوس، بسام،(2011)، عتبة التأويل وعتمة التشكيل، عمان،وزارة الثقافة، ص 174.
[3]- دنقل، أمل، الأعمال الشعرية الكاملة ،285.

أما نزار قباني، فالأمر مختلف، إذ إنه ينظر إلى الموت على أنه حقيقة عارية، صادقة في وقوعها،كاذبة أمام العاطفة الشاعرة،هو فوق كل الحقائق، وأخطر الأكاذيب،لكنه قمة الصدق[1] ، يقول وهو يرثي ولده:

" **أحاول ألا أصدق موتك، كل التقارير كذب،**

وكل الأكاليل فوق ضريحك كذب...

أحاول ألاّ أصدق أن الأمير الخرافيّ توفيق مات

وأن الجبين المسافر بين الكواكب ماتْ..

وأن الذي كان يقطف من شجر الشمس ماتْ.

فموتك – ياولدي– نكتة وقد يصبح الموت أقسى النُكاتْ".[2]

ويرى نزار قباني ، أن الحياة حقيقة والموت أكذوبة ...وتكمن حقيقة الحياة بجمالها المحسوس من الشاعر ، أما الموت فهو حقيقة مفتوحة يحاول الشاعر ألا يصدق صيرورتها، فيفتح شدقيه على اتساعهما ليرسم صرخة بحجم كونه الشعري تقول: (لا...) .[3]

وفي شعر محمود درويش، يمارس الموت سطوته، لكن درويشًا يصادقه ويندفع إلى أحضانه يتحسسه ويعلن تحديه، ليهرب من ضياع الهوية ، وغربة الوطن، فيجعل من الموت بعثًا جديدًا يتسم بالصلابة ، وأنه تطهير وخلاص يعتمد على المواجهة لا الانسحاب على الرغم من الانهيار الذي يلاحق الشاعر في كل شيء.[4]

1- ينظر: مشوح، وليد، الموت في الشعر العربي السوري المعاصر،ص135
2- قباني، نزار(1983) الأعمال الكاملة،ج2 ، ط12، بيروت، 282
3- ينظر: مشوح، وليد، الموت في الشعر العربي السوري المعاصر،ص135
4- ينظر : مصطفي، خالد علي (1986) ، الشعر الفلسطيني الحديث ، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة ةالإعلام، ص189-190

" في آخر السرداب نبلغ حكمة القتلى، نساوي

بين حاضرنا وماضينا لننجو من كوابيس الغد

أيامنا شجر، وكم قمرًا أرادك زوجة للبحر،

كم ريحًا أرادت أن تهب لتأخذني من يدي

أيامنا ورق على وشك السقوط مع المطر".[1]

وتنبه محمود درويش إلى أن الموت ليس موت الجسد، فالجسد ليس إلا الجانب الطيني من الإنسان ، وهذا لا يخشاه محمود درويش، وإن ما يخشاه هو موت القصيدة ، أو موت اللغة، أي موت قدرته على الإبداع ، وهذا ما لم يعترف به درويش، فالابداع مصيره الخلود لأنه من منبع الروح وليس من منبت الطين[2].

"... ألديك وقت لاختيار

قصيدتي. لا. ليس هذا الشأن

شأنك . أنت مسؤول عن الطّينِيِّ في

البشريّ، لا عن فعله أو قوله

هَزَمَتْكَ يا موتُ الأغاني في بلاد

الرافدين. مسلّةُ المصريّ، مقبرةُ الفراعنة...".[3]

---

[1]- درويش، محمود (1994) ، ديوان محمود درويش، ط1 ، بيروت : دار العودة، ص271 .
[2]- انظر: قطوس، بسام موسى،(2013) أفخاخ النص: الرحلة إلى المعنى،ط1 ، عمان، دار الفضاءاتللنشر والتوزيع، ص124-125 .
[3]- درويش، محمود،(2000)، جدارية محمود درويش، بيروت، دار الريس، ص 54 .

وتجربة **الشاعر محمد القيسي**– التي تقوم الدراسة على قصائده – ليست تجربة عادية يأتي فيها الشاعر على الموت كأي شاعر آخر، فقد حفل شعره بالموت أضعاف أضعاف احتفاله بالحياة، وكأن الموت هو الموضوع الشعري الأول له، إذ لو وضعنا معجمًا لألفاظ الموت وتجلياته ومعانيه وفضاءاته لتحصّلنا على نتيجة مرعبة، لفرط عمق تعالي هذا الهاجس الذي تمظهر في النهاية بوصفه نبوءة عجيبة حققت لقاء القيسي والموت في الموعد الذي ضربه لهذا اللقاء[1]، وآية ذلك قوله:

" لكم أحسُّ يا مولاي
أنَّ العمر قصيرْ!
إذ كيف تكفي برهةُ عشرين سنةْ
هي ما تبقّى لي
في حقيبة يدها
لقول ما يختلج به كتابي
وما تضمُّه الحنايا
منذ تشكلت الأرض ،
وسوّى الله الأشياء ،
وأعدّ ناسها". [2]

لقد رحل القيسي في الوقت الذي حدده لنفسه دون تأجيل، أي بعد عشرين عامًا بالضبط من كتابة قصيدة (المنزل رقم 12) عام 1983، التي تنبأ فيها بأن موته سيكون بعد عشرين عامًا من تاريخها ، وكان ذلك عام 2003، حيث غابت المعجزة وصدقت النبوءة ..." .[3]

1- عبيد، محمد صابر، سيمياء الموت- تأويل الرؤية الشعرية، ص45
2- القيسي، محمد ، الأعمال الشعرية /ج 1 ، ص567
3- ينظر: عبيد، محمد صابر، سيمياء الموت- تأويل الرؤية الشعرية، ص14 .

ولعل المصادفة لعبت دورًا كبيرًا في نبوءته الموتية، فقد كان يتوقع موته في أي لحظة ، لأنه عاش حياة محاطة بالمخاطر والأهوال.

" كنت أمضي في ذلك الصباح إلى مكتبي في تونس، لكنني وجدت أن طائرات العدو قد سبقتني إلى المكان وسوّته بالتراب، فاحترقت أشيائي وقصائدي المخطوطة، مع من احترق من فلسطينيين وتونسيين، ووجدتني أقف مذهولًا أمام ما أرى. خمس دقائق فقط ، كانت تفصلني عن هذا الاستشهاد الجماعي. لن أستطيع لأمدٍ غير قريب الكتابة عن هذه الصدفة، عن الأنقاض الممزوجة بأشلاء رفاق وأصدقاء لم تعد لهم ملامح. أمس كنت معهم، وفي الصباح هاتفتهم أني قادم، لأجدهم هكذا. خمس دقائق فقط فصلتني عن أن أرى وجوههم للمرة الأخيرة، أو أكون معهم تحت الردم ولم تختلف علينا الأشياء، لكن ليس هناك ما هو أكثر غموضًا ووضوحًا من هذا الموت، أو هذه الصدفة. تمّ كل شيءٍ بسرعة،ودفنّا الشهداء ، ثمّ واصلنا الحياة على الأرض شهداء مع وقف التنفيذ، في انتظار موت آخر أو رحيل". [1]

وعلى الرغم من أن موضوعة الموت تعدّ موضوعة أصيلة ولصيقة بالشعر الفلسطيني عمومًا، بسبب ما عاناه الشاعر الفلسطيني من تجربة ساحقة مع الموت بكلّ أشكاله، إلا أن القيسي فضلاً على حساسية الموت الفلسطيني البارزة في شعره بوصفه شاعرًا فلسطينيًا ، فإن حساسية أخرى عميقة الذاتية والتوحد والرؤيا مع الموت، تطغى على كل شيء في تجربته وتغور في جوف خطابه.[2]

---

[1]- القيسي، محمد،(1990)، عائلة المشاة، ط1، عمان، بيت عيبال للكتاب، ص 9-10 .
[2]- ينظر: عبيد، محمد صابر، سيمياء الموت- تأويل الرؤية الشعرية ،ص 45.

فالموت بمثابة الانبعاث عند القيسي، فديوانه الأول (راية في الريح) مملوء بظاهرة الإحساس بالضياع وقسوة العيش، والشوق إلى حياة أخرى يتخفف فيها من أثقال الحزن والشجن .[1]

"اغرسي السكين في صدري ، وخلّيني أموتْ

شهقة تتبع شهقةْ

في حنايا الزرع ، في ظلّ البيوتْ

واسدلي آهِ على وَجْهيَ خرقةْ

ودعيني لنَدى الأعشاب، أبتلُّ فأحيا وأعودْ".[2]

لقد بثّ القيسي دوال الموت وإشاراتها وعلاماتها وإيحاءاتها وصورها وإيقاعاتها في كل ما هو متاح من فعاليات الكتابة وأنشطتها ومساحاتها، وهو بذلك يتجه إلى موته الموعود ببسالة وطمأنينة ممزوجة بخوف وتحسبٍ ووجلٍ، وبحثٍ دؤوب عن سبل متعددة ومتنوعة قد تكون كفيلة بالتخفيف من حدة النبوءة المروّعة، وصوتها المفجع الصلب الذي يتردد في الأرجاء كلّها بقسوة وهيمنة، ولا يترك أية فرصة يمكن أن تسمح بإعادة النظر في حساب ما تبقى من الحياة على نحو آخر [3].

1- ينظر : خليل، ابراهيم ، محمد القيسي – الشاعر والنص، ص39.

2- القيسي، محمد ، الأعمال الشعرية /ج1 ، ص96 .

3- ينظر: عبيد، محمد صابر، سيمياء الموت- تأويل الرؤية الشعرية ،ص15.

"منذ الصباح أخذني الموتُ إلى حديقتهِ،

وخلاّني.

الموت هو الموت، أقول لي ،

لكنَّ هذا اليومَ، يختلفُ شكل الموت ومعناه،

لماذا أحتار أمامه،

كما لم أحتر من قبل،

هل لأنني وحدي،

لا أعرف، فيا خرائبي نامي.[1]

ويمكن القول :" إن كلام أية قصيدة من قصائد القيسي لا بل كل كلام أو قول أدبي له يحفل برائحة الموت ونكهته ولونه وحضوره، وإن هذه النصوص الشعرية تتمتع بنرة (غنائية موتية) تغلّف الكلمات بطاقة استعارية هائلة تحكي قصة الموت الذي ظلّ مرافقًا للشاعر القيسي ومهيمنًا على إحساسه وقرينًا للغته الشعرية وصورها ونماذجها التعبيرية والتشكيلية"[2]

وهكذا، مثلما تنوعت نظرة الشعراء المعاصرين للموت، اعتمادًا على ظروفهم النفسية ، والاجتماعية، والإنسانية، واختلاف رؤاهم، فقد عاين القيسي موضوع الموت برؤية تنبض بالانفعال والتأمل، ونفذ إلى ماوراء الأشياء التي حوله متجاوزًا حدود المكان والزمان اللذين يحيطان به، ليخلق عالمًا افتراضيًّا، وواقعًا مأمولاً، يتمنى أن يحيا في أحضانه.

1- القيسي، محمد ، الأعمال الشعرية/ج3 ، 484-485

2- ينظر: عبيد، محمد صابر، سيمياء الموت- تأويل الرؤية الشعرية، ص 45 بتصرف.

المبحث الثالث: أشكال الموت في شعر محمد القيسي.

تعد قضية الموت في شعر محمد القيسي محورًا رئيسًا من محاور شعره، كما هي نقطة مهمة في الوجود الإنساني، "فالموت لا يمحو الأشياء والجهات، ولعله في أحد وجوهه ذروة التّوهّج الفائقة للحياة، لكنه يظل اللائحة المحيّرة التي يقف أمامها الإنسان طويلاً"[1]، ولكن لماذا تردد موضوع الموت في شعر محمد القيسي؟ أو ما سر هذه الكثافة التي وردت فيها صورة الموت لديه؟

إجابة السؤال تكمن من خلال النظر إلى حياة الشاعر ، فالقيسي شاعر فلسطيني، "كانت ولادة قبل النكبة بأربع سنين 1944 ولما كان استشهاد والده قد جرى في العام 1948 وهو ابن أربع، فإنّ من الطبيعي لابن الرابعة ألا ينسى ذلك المشهد، وقد عاد والده جريحًا، والدمُ ينزفُ منْهُ بغَزارة في " الحوش" وأمه حمْدة لا تستطيعُ إسعافه، أو إنقاذه من الموْت الحتمي "[2]،وهذا الأمر بالنسبة للشاعر ترك علامة واضحة للموت في ذاكرته، وإن كان صغيرًا، إذ يقول:

" **ربطت حول إصبعي الخيطان**

وقلت لا، لا يقدر النسيان

أن يسرق الهموم من قصائدي والذاكرةْ

لأننّي مذ كنت لا أجيد حرفة النسيانْ".[3]

إن رؤية القيسي للموت جاءت من وجهة نظر خاصة، بوصفه إنسانًا متعدد الفجائع، إذ خسر أهله بموت الأب والأم والشقيقة، وخسر أرضه باحتلالها من قبل العدو الصهيوني، وخسر بيته الذي يُؤيه، وغيرها، فوقع شعره تحت وطأة الموت .

---

[1]- القيسي، محمد، الموقد واللهب- حياتي في القصيدة، ،ص48 .

[2]- انظر: مقام البيت في شعر محمد القيسي ، مقالة للدكتور ابراهيم خليل ، في صحيفة "قاب قوسين " الالكترونية، 2013/3/20 .

[3]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية،ج1/ص71.

" ينتاب الشاعر أحيانًا غمٌّ عميمٌ، أو ضيقٌ ما، حينما يدعى للحديث أو الكتابة عن تجربته الشعرية، بل قل ينتابني مثل هذا الغمّ العميم أو الضيق، ذلك ليس عن عجز، أو إحساس بلا جدوى التأمل في التجربة أو قراءة الذات ومقاربتها، عبر العودة من جديد إلى رؤية الميّت الحيّ الذي فيك، الذي يتململ أبداً ويقضُّ مضجعكَ وهو يخزّ الأطراف دوماً بالإب، كأنما ما انقطعت في الزمن، عن تلك اللحظة الأولى الغائرة في البعيد والتجاعيد آن غزوت البياض، وحبّرت الورق، أو لوّثته بما يقلق ولا يريح . أعتقد أن مردّ هذا الغمّ العميم والضيق نابع من فعل الإحساس بالخسارة وإدراكها بفواجعها الجمّة، إحساس يباغت الروح فجأة، لحظة التفكير الأولى، لا الشروع أو الإيغال في مسار التجربة ذاتها وإعادة قولها من هذه المسافة الزمنية المبجلة بالخيبات، هو الإحساس إذن بنهاية ما، كأنك صرت إلى متحف، أو ملموماً في وادٍ بعيد، وكأنك خيط انقطع، فلا أنت موجود هنا، أو متواصل في الغد، أنت هنا باعتبار ما كنته، وموضوعك اسمك، الماضي الذي لك ، إرثك وحاضنتك، تغتمّ أنت لأنك في الحالة هذه موضوع أمام ماضٍ ناقص، لتحاكم تجربة ما اكتملت دائرتها تماماً،الاكتمال يعني الموت لك، وأنت ترى فواصل من الماضي، لم تدخل بعد في الحاضر، ولم تحضر، وخطوطاً شتّى وأوراقاً تنمو في شجرة التجربة إذ تتواصل. رغم النهاية إذن، والموت الأول الذي في هيئته المدويّة يأخذ اسم الصمت، وأنت لم تكتمل، لم تصمت، كيف تكتب عن ميّتك بإحساس الصامت، أوّل عتبات الموت الكلّي ؟!".[1]

لقد أصبح الشاعر محمد القيسي يساوي بين الحياة والموت، لأن الموت بالنسبة لإنسان مناضل دفاع عن قضية شريفة وعادلة، فالموت طريق للخلود، إذ أصبح الموت عنده مرادفًا للحياة، والحياة

---

[1]- القيسي، محمد، الموقد واللهب (حياتي في القصيدة)، ص 31-32 .

مرادفة للموت. ولعل قارئ القيسي يلاحظ سيطرة الموت على مشاهد القصيدة القيسية ، بل حتى على مدونته الشعرية بعامة. [1]

"حينما تسقط في ساحاتنا حتى الحجارة

حينما يهدم بيت تلو بيت

يصبح الموت إشارة

وبدايات لصوت

عانِقِ الموتَ بوجه الريح عانِقْ

أنت إن أصبحت عاشق

يسقط المحتل في الطين ، ويبقى وحده وجه الوطن ".[2]

ويبدو أن التعايش مع فكرة الموت وفلسفتها أخذت تسيطر على القيسي، "لأن الفلسفة هي التي يمكن أن تعلم الإنسان كيف لايخشى الموت والاحتضار، وإن التفكير المستمر في الموت هو خير وسيلة لقهر الخوف منه، فعلى المرء أن يألف الموت، فليس ثمة شيء مألوف بمقدوره أن يكون مخيفًا، ..".[3]

والموت والحياة كلمتان متضادتان استُخدِم كل منهما بمعناه الحقيقي والمجازي في قصائد القيسي، وهذا التضاد يحمل صورتين متعارضتين، تنبثق الأولى من واقع المأساة التي تحيط بالوطن المحتل من القتل والتدمير، والثانية من الإحساس الدافئ الذي يبعث في القارئ الأمل ، ويتعدى الأفق المأساوي الواقعي إلى آفاق جديدة بما تحمله من بشرى ورجاء واثق بالمستقبل، وارتياح بنظرة تفاؤلية بيّنة ، وهذا الأمر دفع القيسي لجعل الموت منتِجًا للحياة ،وصانعًا للمستقبل،

---

[1]- انظر: اللوح، مراد عبد الله ، شعر محمد القيسي "دراسة فنية" ، ص20-21 .
[2]- القيسي ، محمد ، الأعمال الشعرية ج1 / ص111 .
[3]- شورون، جاك، الموت في الفكر الغربي/ ص116 .

حيث إن دوال الموت في قصائده بلغ عددها (495) مفردة، كانت الغلبة لمفردة "الموت" والتي بلغ ترددها(220) مرّة ، فضلاً عن دوال(الحياة) التي بلغ عددها (140) مفردة، تضاف إلى ذلك العديد من الدوال التي ترتب وجودها على وجود الموت،مما يرفع لديه درجة الإحساس بالموت الذي انتشرت رائحته، وامتدت على مساحة واسعة من قصائده ، مما يوحي بمعايشة الذات الشاعرة للموت بكل صوره وأشكاله.[1]

إن الشاعر محمد القيسي يمشي إلى موته دون أدنى شك، سيرة حياته، وسيرة شعره هي الموت بالتمام والكمال، مشفوعة دائمًا برؤية شعرية ، لذا فالإنسان والشاعر فيه يجتهدان في أن يراوغا هذا الموت، ويلاعباه، عبر اختراع أساليب مقاومة، ونسيانه في خضمّها[2]،" فالشاعر لا يكلّ من الكتابة ، فهو مأخوذ بها، بل هي خشبة خلاصه الوحيدة، تنقذه من غياب المكان، ومن غياب العمر ومن غياب الأحبة".[3]

وبسطوة الموت على شعر القيسي، أصبح للموت أشكال مختلفة وفق منظور الشاعر، وفلسفته التأملية، وقناعاته الإيمانية، فظهر الموت على هيئات وتقاسيم تناسب الزمان والمكان والحدث القائم، مما يشعرك بأن الشاعر كان يتنفسه، فيخرج من خلال شهيقه وزفيره. ومن هذه الأشكال التي تقدمها الدراسة:

1- موت الأم : وهو لون من ميتات القيسي التي عاشها في ظلّ الفقدان والحسرة، مُخلّدًا أمه الميتة في نفسه، لتظلّ حية في ضميره ووجدانه ، باعتبار أنها فوق الغياب، علّه بهذا يكمل مشوار حياته الميتة.

1- انظر: اللوح، مراد عبد الله ، شعر محمد القيسي "دراسة فنية"/ ص10-11

2- انظر: عبيد، محمد صابر، "محمد القيسي سيرة الموت ونبوءة الرؤيا الشعرية" مجلة نزوى،العدد59، عُمان، 2009 .

3- انظر: مقالة عقل عويط "أذهب لأرى وجهي :لغة رومانسية تكتب سيرة المنفى" ، جريدة الشرق الأوسط ،لندن، 1995/9/1 .

" سعى القيسي إلى تحويل الأم حمدة –واقعًا وتخييلاً– إلى رمز أسطوري عميق الجذور، يستلهم عبره قوة حضور الذات في الأشياء والرؤى، لذا فإنه سخّر جزءًا كبيرًا من تجربته للعودة إليها والخوض في سيرتها،...".[1]

فأخذ يرسم تلك الخطوات بقالب أسطوري مأخوذ من أسطورة (ممنون وأمه أورورا)[1]، إلا أنه عبث بتلك الأسطورة ، وأخذ يبكي أمه بِنَدًى من نوعٍ آخر،(فالممنون القيسي) يعدّ قبرها ويبكيها بالكتابة المتآلفة والغناء الشعبي الذي تعلمه منها، وظلّ هذا الأمر كتعويذة يهمس بها كلما جال الماضي في خاطره:

" بعد نوم أُورورا الأخير،

وانبلاج هلال اليتمْ

ليترفَّق تراب هذي الأرض

وسائد لغيمة أورورا المتعبة

ولتَنَمْ روحك بسلامٍ

وأنا آوي إلى حديثي

وأروي قرنفلةَ المنفى ".[2]

لقد صوّر الشاعر مدى تعلقه بالأم حمدة ، فهي التي منحته ما عجزت الظروف عن منحه إياه، وبخاصة بعد أن أخرجتهما النكبة من قريتهما كفرعانة وعاشا في المخيمات لاجئين مهجّرين ليس لهما سوى السقف المصنوع من الصفيح وقدرهما من حزن لا ينتهي.[3]

---

[1]- انظر: عبيد، محمد صابر، سيمياء الموت- تأويل الرؤية الشعرية، ص67 .

[1]- انظر: القيسي، محمد ، الموقد واللهب، حياتي في القصيدة /ص 230 // تقول الأسطورة أن (ممنون) بطل من مصر حارب مع الطرواديين وقتل ، فأقيم له تمثال ، فكان كلما نزل على ذلك التمثال الندى في الصباح وطلعت الشمس يصدر أنغاما، وتقول الأسطورة أن الندى هو دموع (أورورا) أم ممنون تذرفها حزنًا عليه.

[2]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية ،ج116/2 .

[3]- خليل، ابراهيم، الشاعر والنص، ص 94 .

" وسئل الشاعر محمد القيسي في حوارٍ أجري معه عن ورقة سوداء في آخر (كتاب حمدة) فأجاب: يحدث أن تضيق اللغة ويغيب الكلام، يحدث أن يكون الصمت أبلغ وأعمق من غيره، لكن الصفحة السوداء الأخيرة في (كتاب حمدة) أردت بها أن أكثف هذه الكآبة، وأرمز إليها باللون الأسود، إشارة إلى حدة ما خلفته فيّ حمدة، وإشارة إلى هول الفاجعة في واقعنا، باعتبار أن حمدة لم تكن في العمل أمي فحسب، بقدر ما أخذت طابع القضية والناس".[4]

فالأم بالنسبة للقيسي ليست أمًا فحسب، وإنْ كانت تتمتع بهذا المدلول المرتبط بالأمومة والحنو، ولكنّها ذات مدلول إنساني عام، فالشاعر حاول أن يزاوج بين المعنى الإشاري للفظة الأم، والمعنى الرمزي لها الذي يعني الأرض والوطن وفلسطين، فيكثر من تشبيهها بالزيتون والزرع واليمامة[1]، ليدلل على أن أمه تتجلى في طبيعة فلسطين بل تتوحد معها.

"أول كلامي حمدةُ،

أول هذه التغريبة صوت اليمامْ

فلتهلْ هذه الزيتونة بجذعي

ولتنشد الزرازير جوعانةً،

دون زرع". [2]

وفي مشهد آخر، يظهر لنا أن موت الأم هذا، ألبس الشاعر ثوب الاحتضار الدائم ، لأن موت أمه بالنسبة له كما يبدو ذروة المأساة والضياع وإن كان يتحرك بين الأحياء، فقد حوّل هذا الموت عالم الشاعر إلى فراغ، وأفقده الإحساس بالأشياء، ففقدان الأم هنا يساوي فقدان الأم الأولى

4- أجرى الحوار علي العامري، مجلة " الموقف العربي" فبرص، العدد 538، 1992/وينظر: الموقد واللهب، حياتي في القصيدة، ص237 .

1- خليل، ابراهيم، الشاعر والنص،ص93 .

2- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية ،ج2/ 112 .

فلسطين. "حتى إذا ما اكتملت دورة الموت، واخترمت الميتة حمدة (أم الشاعر) فلن يتبقى بعد ذلك شيء". [3]

" لا أتشح الآن بثوب الليل ،

ولكنّي منغمسٌ بشؤونٍ

تتعلق بغصون ذهبتْ ، وظلال غربتْ

تتعلق بمديحٍ ما اكتملَ ،

مديح الموت ،

مديحٍ لمكابدة العاشق والمجروح،

مديحٍ لأصابعِ أمي ،

وهي تخوضُ عجينَ رُؤايَ ، وكينونةَ أُغنيتي

الغرفة موحشة من دونك كالأرض

كالأرض تماماً

موحشةٌ

كالأرض بلا أروقةٍ ،

وممراتٍ ،

ومواعيد ". [1]

وهذا اللون من الموت لا يدعو فيه الشاعر إلى حياة جديدة ، وإنما يرصد حالة يعيشها معظم الناس بعد فقدان الأم الحقيقية والأم الرمز ، فتصبح الحياة هنا، حياةً دون طعم. لذلك نجد القيسي في كلماته يرثي نفسه بعد أمه ، ليثبت أنه بعد الأم لا حياة حقيقية له، وإنما حياة في ممات .

---

[3]- خليل، ابراهيم،(2006)، من معالم الشعر الحديث في فلسطين والأردن ،ط1 عمان، دار مجدلاوي، ص230

[1]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية ،ج2/174-175

" أنا ابنك هذا الخاسر الأكيد

ابنك الميت من غيظ الموتِ

أيتها العربة البيضاء الخاصة بالأزهار ، والتلاوةِ

أين تذهبين بيومي ،

وأين تذهبينْ

بالعروس التي فاتها زفافي ".[2]

2- موت الأحبة: ويتمثل بصورة الموت لأهله، وأصدقائه، وأقاربه من المناضلين الفلسطينيين الذين سقطوا عبر مسيرة النضال الفلسطيني، الذين لم يتنازلوا عن حقهم، وقدموا حياتهم فداءً له، "ولعل القيسي بهذه المراثي التي يقدمها لمن رحلوا ، يقدم رثاء للذات بدلالة الآخر، عبر إفراد مساحة جديدة يتحدث فيها الكاتب أكثر عن دخائل النفس وتجارب حياته، ويتجلى ذلك عبر الوقفات التي يتحدث فيها القيسي عن الآخر، وكأنه يتحدث عن الذات بصورة تصل إلى التماهي والاتحاد بالآخر".[1]

---

[2]- المصدر نفسه ص 122 .

[1]- عبيد، محمد صابر(2005)، تمظهر التشكل السير ذاتي، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 12 .

" وعُدْتُ إليكم عبر الليالي السودِ منْ منفايْ

أُقاسي خيبةَ الآمالِ ، أَبحثُ عن أحبتي الذين طواهم الغدر

على جسر الدموع ، وجدتكم ، لا ظِلّ ، لا مأوى

ولا زادٌ ، ولا سَلوى

تمددتم على وجعٍ ، على جوعٍ ، على عُرى ،

رفضتم ذلة الشكوى

وكان الحزن يرفدكم ، يمدّ وجودكم معنى

يشدّ خُطاكمو للأرض، يزرعكم بعين الشمس وَهجَ تمردٍ ، قِمَما".[2]

ومن هذه الأسطر يبث الشاعر مشاعره الثائرة ، الحزينة بحثًا عن الأحباب الذين غادروا الواقع موتًا، ولكنهم ظلوا رمزًا للشهادة ، والعلو. كيف ذلك؟ من خلال ربط الأرض بالسماء ، إذ إن كل إنسان يموت من أجل الأرض (الوطن) ويدفن فيها، سوف ترتفع روحة لتعانق السماء وتحلّ في منزلة توازي التضحية والفداء الذي قدمه لتلك الأرض.

وفي عمق الشاعر، كل أحبابه، وأصدقائه الذين سقطوا على يد الغدر سوف يعودون، مصداقًا للآية الكريمة، قال تعالى:"**وَلا تَحْسَبَنَّ الّذينَ قُتِلُوا في سَبيلِ اللهِ أَمواتًا بَلْ أَحْياءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرزَقونَ**" (سورة آل عمران، آية 169) فقد ربط الشاعر عودة الشهيد بالمظاهر الحياتية، كأنه يقول إن موت هؤلاء الأشخاص أو استشهادهم لا يعد موتًا، إنما غياب مؤقت ثمّ يعود من جديد، كالمطر ، والزهر، والمسافر .

2- القيسي ، محمد ، الأعمال الشعرية ج1/ ص 61-62 .

" مثلما يأتي المطر

مثلما ينبت في الأرض الزهر

مثلما المشتاق يأتي من سَفر

فهو يومًا سيجيء

لم يمت فايز، من قال يموت

ذلك الحبّ الصموت

فهو كالنبع، ولمّا هزّه التِحنانُ للنور انفجر".[1]

ويقول في مشهد آخر عن موت الشهادة :

" سأنام الآنْ

ويقول الحَجَرُ ثَوى عبد الله، يقول الشجر، هنا كان

وإذا نزلت فاكهة السوق ونادى البائع أحمر يا رُمان

سأُطل من القبر قليلًا

وأقول سلامًا أيّتها الأرض،

سلامًا أيّتها المعجونة بدم الإنسان".[2]

وهنا يرى الشاعر أن الموت كالنوم ، على اعتبار أن النوم ميتة صغرى، لأن الإنسان يفيق بعدها من سباته، ولكن النائم عند الشاعر لن يستيقظ إلا على كلمات بائع الرمان، الذي يعلن بكلماته أن الحياة مازالت مستمرة والتضحية من أجل الوطن مستمرة مادام هناك دماء تسري في عروق أبنائه .

[1]- القيسي ، محمد ، الأعمال الشعرية ج1/ 84

[2]- المصدر نفسه/ص 448 .

ولعل في **الرمان الأحمر** يكمن عنصر الإثارة، "لأن اللون الأحمر لون القوة والقدرة والحياة والحركة، بالإضافة إلى اكتساب اللون الأحمر أهمية لارتباطه بالدم ، وتكاد الثقافات القديمة تجمع على أن الإنسان الأول مخلوق من مادة حمراء، وهذه المادة هي دم أحد الآلهة، أو هي تربة حمراء اكتسبت حمرتها من دم الإله، ولعل هذه الأساطير كانت تحاول أن تفسر علاقة الدم بالحياة "[1]، فمِن تلك التربة المعجونة بدم الشهداء ، تخرج ثمار الرمان الموسومة باللون الأحمر لتؤكّد على أن الحياة النضالية ما تزال مستمرة حتى التحرير.

" إن رؤية القيسي للموت تنبع من فكرة معينة وهي: أن استرجاع الوطن والعودة إليه لا يتحققان إلا عن طريق الموت والاستشهاد، فعشقه لوطنه جعله يعشق الموت، ويصوره لنا في ثوب جميل على خلاف ما عرفناه".[2]

وبهذا نجد أن الشاعر القيسي قدّم صورة للموت الحقيقي بطريقة فلسفية، لكنها لم تخرج عن الواقع، فالشهادة تجعل من الموت حياة ، وهنا تبدو جدلية العلاقة بين الموت والحياة ، إذ إن موت الفلسطيني هنا كان للبحث عن حياة أو افتتاحية لبداية إنسان جديد بحياة حرة وكريمة .

3- موت الأنا : " يربط علم الاجتماع (الأنا) بمفهوم الهوية الفردية، ويضيف إليه تصور الشخص لذاته وخصائصه المعرفية ، ومكوناته الفكرية، والاجتماعية، وما يدور في فلكها من قيم وتقاليد موروثة ومكتسبة. ويعرفه بأنه: فرد واعٍ لهويته المستمرة المرتبطة بالمحيط . ويشترط لوجود (الأنا) وجود حالة (النحن)؛ إذ لا نستطيع تصور الأنا قوة تتواجد في سلوكنا بمعزل عن النحن التي تحويها وتنفي فرديّتها وتختزلها ضمن نطاقها".[1]

---

[1]- ينظر: علي، إبراهيم محمد،(2000) اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، الناشر جروس برس، ص 57 بتصرف.
[2]- اللوح، مراد عبد الله ، شعر محمد القيسي "دراسة فنية"، رسالة ماجستير.ص 17 .
[1]- جنيدي،رضوان،(2013)، جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص 20 .

وإن الأنا التي تقصدها القصيدة تتمحور حول وعي خاص للأنا بنفسها في النص الشعري، والتي لا تتشكل معانيها إلا من خلال الآخر بما هو المرآة التي تشهد الأنا ذاتها فيها...، فالأنا أصل والآخر صورة مركبة ترى من خلالها الأنا صورتها.[2]

والذاكرة الشعرية في تجسيدها لفضاء الأنا الشاعرة لا ينحصر شكلها ومضمونها وأداؤها في حدود معينة يفرضها المفهوم الزمني أو المكاني للذاكرة، بل يمتد في عمق اللغة والمكان والموروث والروح، وتظل تمارس دورها في تعبئة الذات الشاعرة ورفدها بالصور والوقائع والأحاسيس التي لا تنضب، وما العملية الشعرية على هذا الأساس سوى فعل تنصيص للذاكرة واستجلاب كنوزها الدفينة لتحقق القصيدة الأنوية .[3]

ومما سبق، ينبثق مفهوم موت الأنا لدى الشاعر، فهو يتحدث عن موت لا يتمتع بالخصائص الطبيعية للموت الحقيقي ، إنما هو موت داخلي للإرادة وشعور الحياة، موت يدعو للتفكير من جديد

بكل ما مضى وبما هو آت. ولم يأت هذا الأمر إلا بعد النظر إلى موت الأحبة والأصدقاء والظروف القاسية التي مَرّت في حياة الشاعر فأكسبته هذه الميتة الملونة، التي انصبّت بكل ألوانها على قصائد القيسي ودواوينة إلى أن أصبحت جُل قصائده مؤطّرةً بالموت، أو تفوح منها رائحة الموت.

---

[2]- ادريس،عبد النور (2012)، مقالة (بين الأنا الشعري والأنا الصوفي)، الحوار المتمدن،العدد3692،ابريل.
[3]- عبيد،محمد صابر(2007)، المغامرة الجمالية للنص الشعري ،عمان، عالم الكتب الحديث، ص24.

"ووحدي ألهو

ووحدي أخاطبني غالبًا :

– أما زلتَ تَغْفو؟

وأفْرُك عينيَّ، أُخرجُني من نُعاسي ،

أمشي إلى غسق ذابلًا

وأموت قليلاً من الموت ،

حَتى لأصحو". [1]

وفي الأبيات السابقة،" يستغرق الموت التفاصيل المتأتية من حساسية المحاورة الذاتية بين الراوي وذاته الشعرية المنفصلة عنه انفصالاً رمزيًا مؤقتًا، في مونولوج درامي دامٍ تبلغ فيه الوحدة أعلى درجات قسوتها واضطهادها ومرارتها وقربها من فضاء الموت...، ".[2]

لقد أصبح الموت بالنسبة للشاعر حلمًا، ولكن أي موت ؟، الموت على أرض الوطن مدافعًاعن ترابها، فالحلم بالموت أفضل عنده من بكاء الأطلال والندب ورثاء الآخرين ، يقول:

" حلمتُ أن أموت واقفًا على ترابها

لا باكيًا على الأطلال

لا نادبًا، لا راثيًا من سقطوا،

في حلبة القتال

فكلّ ما يقال

أصغر من أن يطال".[1]

---

[1]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية /ج2، ص440 .
[2]- سيمياء الموت، تأويل الرؤيا الشعرية، ص76.
[1]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية /ج1، ص 80.

لقد قدّم لنا القيسي ألوانَ هذا الموت برؤية فلسفية تشعرك أن الموت جزء لا يتجزأ من داخله، وأن الموت بداية لا نهاية، ونلمس ذلك من خلال عنوانات قصائده، ومضامينها. فعندما يتحدث عن نفسه يغلّف كلماته بالموت، فهو يريد إيصالنا إلى حقيقة أن العيش في ظل حياة تخلو من مقومات الحياة البسيطة، هي تجربة للموت ، ولكن ضمن تفاعلات الحياة وخبراتها، واعتمادًا على مجريات الزمان وأحداثه.

" **ليكن في معلومكْ**

أني في كل مساءْ

أركض نحو تخومكْ

أحمل في جعبتي الخضراءْ

وَردَ الجُرحِ، وناقوس الأوجاعْ

أحمل مدنًا ، وقرىً ، وقلاعْ

وأُطيّعُ صلصال الغربة بغنائي الليليِّ،

أُتَوَّجُ في الحفل أميرًا للموت، أنا عاشق أبعادك".[2]

إن القيسي هنا يتشبث بالماضي ويظل في صحبته، فيستحضر الذكريات المحملة بالزمان والمكان والمنغمسة بالأوجاع والآلام، فيحفل بها كأنه ميت ، لأن هذه الألفاظ والمفردات المشبعة بالحسرة والألم لا يليق بها إلا لفظة الموت ،أو كأنه بوح أنويّ بين الاعتراف والانكسار الذي يشعر به.

2- المصدر السابق، ص 235

4- موت الغربة والمنفى : وهذا موت من نوع خاص، لأنه جاء حصيلة عذاب متواصل لمشهد أزلي عاشه الشاعر بعدما أُبعد عن وطنه وأرضه عنوة، ففاجعة فقدان المكان عام 1948، أيام النكبة وبعدها، أثّرت عميقًا في نفسه، وجعلته يحمل المكان بكل تفاصيله ضمن ذاكرة أبديّة ، ذاكرة مُخْتَلِطَة بالحنين والغربة والحزن والأمل والإصرار والتحدّي والتفاؤل، ورغبة لاسترداد المكان لأهله. وقد حاول أن يتخذ من بلدان العالم وطنًا له، ولكن دون جدوى،"لأن علاقة الشاعر بأي مكان آخر تبدو علاقة متخيلة لا تحتوي على إحساس حقيقي بفكرة المكان المتجلي في ذاكرته"[1].فيقول:

" كل مكان خارج فلسطين ليس لي، كما أنني أحسّ بعيدًا عن المكان الأول ، بأن الأمكنة كلها مؤقتة، أجيئها لأمضي عنها .

((في المكان الذي ليس لي

لا أرى ضوء منزلي))".[2]

وهذا الموت يأتي على هيئة سكرات من الذكريات تجتاح الشاعر من وقت لآخر، ويعجز بالمقابل عن تناسيها ودفعها عنه، وما كان من هذه الذكريات إلا أن تزيد من احتراقه الداخلي ، وألمه المتواصل، فلوعة البعد تُهْرِمُ القلب، وتُضعف الروح ، فيقول:

---

[1]- انظر: جماليات المكان في ديوان (لاتعتذر عما فعلت) للشاعر محمود درويش، محمد صلاح أو حميدة، مجلة جامعة النجاح،2008،م22،عدد2 ص 485.

[2]- الموقد واللهب ، حياتي في القصيدة / ص232 .

" أحبائي

يمر الليل عن جفني ويسألني

متى تشفى من الشجن؟

أحبائي سؤال الليل يؤلمني

لأنيّ كل ما أدريه أنيّ بتُّ منفيّا

وأنيّ لم أزل حيّا

تعذبني وتقلقني

طيوف الأمس والذكرى تعذبني".[1]

لقد سلّمت الغربة الشاعر للخيبة والعذاب، فأخذ يهيم على أوراقه، يبثّ فيها آماله وأحلامه التي نسجها خلال غربته ومنفاه ، وألبسها لأيامه علّها تخفف من آلام سكراته التي يعيشها، فجاءت قصائده ترمي لاسترجاع صورة الوطن ،" ففلسطين بالنسبة له ليست مجرّد جواز سفر، أو مفتاح بيت يحدّد ملكيته، أو خطابًا وقاعة برلمان، إنها تمثّل له معنى وجوديًا، الوجود الحقيقي بكل ما يتضمن هذا الوجود من اشتراطات الكرامة الوطنية، والحرية، والحياة العادلة، وعلامة الرغيف والورد والحب" .[2]

" فلن ننساكَ، لن ننساكَ يا وطني،

فما زال الوميض يشعُّ في الأحداقْ

وميض الرفض والإصرار والثورةْ

وما زال المشرَّدُ في الطريق إليك يا حلمي ولن يثنيه

عذاب الغربة المرةْ

---

[1]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية ، ج1 ، ص19 .

[2]- انظر: الموقد واللهب ، حياتي في القصيدة، 129.

لأنك فيه أنت الروحُ،

أنت الوهجُ والفكرةْ".[3]

وتكاد لا تخلو قصيدة من قصائده من معاني الإحساس بالغربة والحنين الجارف للوطن، تلك المعاني التي يتلذذ في تجسيدها ليواجه عذابات المنفى بمباهج الماضي الذي يسكنه ، إذ إن فقدان المكان ليس

فقط انتهاكًا مجرّدًا للجغرافيا، بل إنّه بالنسبة للشاعر عدوان على حريّته، وتماسكه وبهجته الإنسانيّة. فاتّكأ الشاعر على الموت ليعزي نفسه بفقدان الوطن، وأخذ يصنع لنفسه عالمًا يخلو من الضياع والغربة ، فنسج من مفرداته ومعانيه أكفانًا تواري جثمانه الضائع في زحمة المنفى .

" **مستعينًا بموتي**

أشق لروحي طريقًا مناسبةً

وأعدُّ العشاءْ

العشاء البسيط لأخوةِ قَلبي

أعدّ شراشف صوفيّةً لرعاة الجبلْ.

يتّقون بها برد هذا الشّتاءْ

وأزاملُ وقتي".[1]

لقد استعان بالموت ،وشق طريقًا تناسب الأجواء والأحوال التي يعيشها، فالشراشف الصوفية، (ورعاة الجبل[2])، وحتى فصل الشتاء، لم تكن سوى علامات تبُثّ الحزن والكآبة والحرمان، إذ إن

---

[3]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية ، ج1/ ص68

[1]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية /ج2، ص441.

[2]- كمال، يشار(2005)،أسطورة جبل آغري(رواية)، ترجمة شوكت اقصو، جبلة السورية، داربدايات للنشر والتوزيع ،ص111 ،**"عندما ينتفض الكون من سباته ويزهر فصل الربيع كل عام ياتي رعاة الجبل من كل الجهات يخلعون عباءاتهم... ويلقون بها فوق التراب ويجلسون فوقها... فوق تراب المحبة الذي عمره الف عام وعندما تبدأ خيوط النور بالتسلل الى جنح الظلام يخرجون ناياتهم... ويعكفون على ترديد قصة حب وغضب جبل آغري. وما ان تشرف الشمس على المغيب حتى ينطلق الطائر الابيض الصغير محلقا".**

الشراشف التي يعدّها لرعاة الجبل ما هي إلا دلالة على أن احتلال الوطن ما زال مستمراً وأن الربيع سوف يطول مجيئه، فرعاة الجبل لايظهرون إلا في فصل الربيع ، حيث يفترشون الأرض بعباءاتهم ، وتأخذ ناياتهم بعزف ألحان تستعيد الحبّ والغضب،فلم يعمد الشاعر لذلك إلا ليصف حال نفسه وحال من حوله من المنفيين عند تذكّر الوطن.

5- موت الطبيعة: وهنا يستعين الشاعر بعناصر الطبيعة المحيطة به ، لتحمل جزءًا من همومه وأحزانه، فيرصد صورة أخرى للموت بألوان الطبيعة، وما أجملها من صورة، عندما تعانق الطبيعة الموت من خلال كلمات شاعرٍ يعيش الموت، فيقول:

" **كان شرار الظهيرةِ يمتدُّ نارًا**

وموتاً مثارًا

إلى الجسرِ.. والنهرُ كان يجفُّ، يجفُّ، ويلتفُّ..

في بُردةٍ منْ حِدادْ

ويحتضنُ صفصافةً وهي تبكي، تغنّي البعادْ

وتَسقطُ أوراقُها". [1]

فلم تكن الطبيعة سوى متنفّس يستنشق من خلالها القيسي معاناته، أو لنقل إنّها نهر صبّ فيه أمطار مأساته، " فالطبيعة مرآة صافية تعكس حقيقة النفوس الشاعرة وما يعتمل فيها من حزن وكآبة، أو حبّ ورقة وعذوبة، أو همّ وعذاب". [2]

---

[1]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية ، ج1/ ص224.

[2]- بركة، نظمي محمود،(1995)، الاتجاه الرومانسي في الشعر الفلسطيني المعاصر، دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 108.

إن الشاعر تطرّق إلى ألفاظ تحمل فكرة الموت (**النهر يجف،يلتف في بردة حداد، وصفصافة تسقط أوراقها)**،ليدلل على عمق المأساة التي يعيشها وأن كل شيء مثأثر بحالة النفسية فيعبر عنه بصيغة خاصة تليق بالحدث.

" **تمرُّ بالحقول في المساء**

لتسمعَ النساءْ

ينعينَ موسمَ الحصادِ، والجفافْ

أذبل في العيون زهرةَ الفرحْ

فهُنَّ في ابتهالْ

لكي تعود نخوة الرجالْ

مناجل الرجال

فالشوق والحنين والعذابْ

سحابةٌ من الأسى تنوحْ

على السنابل القتيلةْ

على مدينتي اليبابْ".[1]

لقد أسقط الشاعر المعاناة والخذلان الذي يشعر به على الطبيعة فيعبّر بذلك عن أحاسيس دفينة ويعمّق دلالاته من خلال تلك الأشياء دون التصريح المباشر بها(**نساء ينعين موسم الحصاد، الجفاف أذبل الزهر، سحابة تنوح، السنابل قتيلة)**،" فالإسقاط هو عملية لا غنى عنها في فهم عملية الامتصاص، حيث يسكب الشخص أحاسيسه في شيء ما – أي يموضعها– وبذلك يتسنى له أن يفصل بينها وبين الذات ، وبقدر ما يكون هذا الشيء رمزا فإن صاحبه يكون مبدع عبقريًا،

---

[1]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية، ج1/ص50.

وهذا الأمر يفضي إلى ترميز الأشياء والظواهر الطبيعية (الحية والجامدة) التي يسقط عليها المبدع إحساسات شتى متباينة فتستحيل مادة لرموز متوترة لا حصر لها".[2]

وقد خدم هذا الإسقاط قصيدة الموت عند القيسي، فحملت الطبيعة عبء التعبير والبوح بكل ما يجول في نفس القيسي من مشاعر متصادمة إزاء الآخر .

كان يومُنا، بداية النّهارِ

ما كان لهم إلا أن يَرصدُوا السُكونَ

وإلاّ أن نُعلنَ في صمتٍ،

جنون الحالةْ

ونحن نعبر أرخبيل المسرات الميتة

يبنا تَهوي على الرصيفْ

صغار العصافير والفراشات الملونة

مطلقة صراخها الإنساني

وهي تستمدّ هَلَعها

من أحداقنا المشرّعة على أكفانٍ بيضاء".[1]

لقد أُثقلت الطبيعة بمظاهر الموت التي تحيط بالشاعر(**سكون، صمت، أرخبيل مسرات ميتة، تهوي صغار العصافير،صراخ إنساني، أكفان بيضاء**)، وما هذه الطبيعة سوى لوحة فنية مختلفة الألوان، توحي بما في نفس الشاعر، فقد كان ربيب ألم وحزن ووحدة وحسرة.

2- سويف،مصطفى،(1969)،الأسس النفسية للإبداع العربي، ط3، القاهرة، دار المعارف، ص20.

1- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية،ج3/ ص70-71

6- موت القضية: ويرصد الشاعر هنا دلالات خاصة لموت القضية، حيث إن موضوعة القضية الفلسطينية وحلّها أصبح الشغل الشاغل للفلسطيني، وكل تأخيرٍ في حلها هو موتٌ بالنسبة له، إذ إن التفكير بالمعاهدات، والاتفاقيات، وفي وقت العودة والتخلص من قيود اللجوء والمنفى يحدث صراعًا داخليًا قد يصل للاقتتال الداخلي بين ماكان وما سيكون، وما هو كائن.

لقد عانى القيسي من ضياع القضية، وتمزق الهوية، جراء ما رأى من المواقف العربية ،وخذلانِ القضية الفلسطينية، فظهر كمٌّ كبير في كلماته تشير إلى المذبحة، نعم، مذبحة الشعب الفلسطيني الذي سقط تحت براثن الوعود الكاذبة، وقيود الاتفاقيات ، التي حاولوا من خلالها تلجيم الشعب وإسكاته، ليبقوا هم في بروجهم الشامخات العاريات من الكرامة، دون أن تكون لنهضتهم علامة.

" أقول وقد أيقظتني رؤى الفاجعةْ

يجيءُ زمان السقوط الأخير،

ويُقضى على الشوكة الجارحةْ

فقادتنا يجهلونَ علينا،

يريدون أن نترك الأسلحةْ

ألا إنها شارة المذبحةْ". (1)

ويقول أيضًا:

فليرفع الستار عن رواية العروبةْ

ولتُكشفِ الأكذوبة (2)

1-القيسي، محمد، الأعمال الشعريةج1/ ص 145 .

2- المصدر السابق، ص 222 .

لقد جابت صيحات التمرد والقهر عتبات الشاعر، فأخذ يخرج من لغة الكنايات والتلميح إلى لغة التصريح والخروج عن الصمت؛ "لأن الأسى يمزق النفس حسرات، فقد ظلّ الحكام العرب القيود الثقيلة على شعوبهم وعلى عرب فلسطين بصورة خاصة ، يمنعون الجميع من أي عمل يوصل إلى طريق التحرير، وقد ثبتت خياناتهم وتقصيرهم في العمل للقضيّة من قبل النكبة ومن بعدها، فأثر ذلك في الشعر والشعراء، ففضحوا مواقفهم وعرّوا اتباطاتهم مع دول الغرب الاستعمارية، وكشفوا عن دورهم في مسرحية الحرب الفلسطينية...، وقد حاولوا دفن الشخصية الفلسطينية في صحرائهم العربية ولكن تلك الشخصية اخضوضرت وازدانت وعملت على حفظ هويتها واكتنازها".(1)

" أوقفوا أيها السادة هذا المسلسلَ،

موتي يقول بأنّ ادعاءاتكم باطلةٌ، فانظروا

بين هذي الحروف دمي هائج كالذبيحة،

كل المحافل ما كان منها وما سيكون،

سيوفٌ لنحري، وشاهدةٌ للقبور التي ترسمون،

هنا فوق صدري الفسيح،

هنا وردة الأغنيات الطليقة كالطلقات،

فلا تحزني يا بلادي كثيرًا".(2)

وإننا نلمس لدى الشاعر نغمة تفاؤلية، فقد حلم أحلام اليقظة، وبنى مستقبلًا ورديًا في ظل حياة هانئة، وأخذ يعوّض حياة البؤس والحرمان التي مرت به، ولكن خذلان القضية كان أكبر خيبة

---

[1]- محمود، حسني(1984)، شعر المقاومة الفلسطينية"دوره وواقعه"ج3، الزرقاء ، الوكالة العربية للتوزيع والنشر ،ص 90/81.
[2]- القيسي، محمد، الأعمال الشعريةج1/ص 400.

أمل، فتحطمت الأحلام وحلّت مكانها الآلام والإحباطات، وسميت " اتفاقيات سلام"، ولكنّه يراها اتفاقيات كاذبة، بدليل استمرار الموت والقتل،(موتي يقول بأنّ ادعاءاتكم باطلةٌ، دمي هائج كالذبيحة، المحافل سيوف لنحري، وشاهدةٌ للقبور التي ترسمون).

"أحلم بالسرب الغادي والسرب الرائحْ

أحلم وأنا أرقبُ في الليل الحالك ، ميعاد قدومكْ

أحلم والأعداء يصوغون قرار الإبعادِ،

وطلقات خصومكْ

تبحث عنّا

أحلمُ...

ليس لنا بيت في آسيا

ليكن في معلومكْ

أنّا نطرد من هذا العالمْ

ليكن في معلومكْ

أن العام القادم لا يجمعُنا في القدسْ".[1]

لقد جسد الشاعر مأساة فلسطين بلغة شعرية جمالية وبوعي فني جيد، حيث عكس شعره آماله وآلامه وأشواقه. وبأمنياته يريد أن يحفز ويخفف من قسوة اللجوء والتشرد،ولكن الثابت الوحيد في كل هذه القصائد القيسيّة، أن الفلسطيني وحدهُ يطرد من هذا العالم، يبعد عن وطنه قسرًا، يطلق عليه الرصاص، يشرّد من بيته، ومن حوله لايحرّك ساكنًا، فالنتيجة الحتمية **(أن العام القادم لا يجمعُنا في القدسْ)**، وتلك حقيقة الموت !.

---

[1]- القيسي، محمد، الأعمال الشعريةج1/ص 234.

7- موت القصيدة : وهي نظرة تحكمها معاناة الذات المبدعة، التي اكتوت بحرقة الكتابة ومرارة المنفى وسعت إلى الخلود عن طريق الإبداع، فموت القصيدة تعني جنازة الإنسان، ومادام هنالك قلب ينبض بالحلم في حضرة العقل المهيب، فلابد أن يكون هناك المخلوق الجميل المسمى مجازاً قصيدة، إن تجربة الموت عند الشاعر هي تجربة عميقة ويظهر ذلك من عبارات الموت والألفاظ والتراكيب التي عمد إليها الشاعر في قصائده، فالقيسي لا يبرح الاتكاء على الموت ودلالاته في قصائده، ليحقق الترابط بين الانفعالات والانكسارات، والمفردات والتراكيب.

فالكلمة عند الشاعر هي الحياة وإن تغلفت بالموت، فبالرغم من الأجواء المحيطة بالشاعر من خيبة وألم وانكسار، إلا أن القيسي كان بقوة الكلمة التي لا تمحى. فيقول:

"ما مِتُ هذا الموت أخدعه
وأظلّ أبدع في الدنا نـــقشي
مهما يحزّ الطوق من عنقي
والناس، كل الناس تستعشي
يبقى لي اليوم الذي جهلوا
يـبقى لعـينك أنـّني أمـشـي"(1)

إلا أننا نلمس في بعض الأحيان أن الشاعر أضاع الكلمة، والسبب في ذلك الشعور بالوحدة والاغتراب، والابتعاد عن الأحباب.

[1]- القيسي، محمد، الأعمال الشعريةج1/ص522.

" أقف الآن وحيدًا

تحت شباك أماسيك ولا أحكي،

عن السهد وعن جرح المواويل،وعن موت الطويلْ

هذه المرة لا أحمل قيثارًا، ولا أتلو نشيدًا

وجيوب السترة السوداء خلو من قصيدة

فاعذريني من نفاذ الصبر ؟".[1]

فهو يقف وحيدًا دون أن يسانده أحد في غربته، ويستذكر في الليل مواويل الأحباب، وما هذه الاستذكار إلى موت طويل لا ينتهي، وتتدخل الأسطورة في كلماته،**(أسطورة أورفيوس عازف القيثارة)**[2]، ليبين أن صبره قد نفد من ألم البعد والحرمان، فلن تواسيه قصيدة ولا حتى نشيدًا.

ويقول في مشهد آخر:

" حينما أشرع في الحزن تغيب الكلماتْ
ويستوي المنفى وأرض الوطن المأسور عندي،
والصدى والأغنياتْ
تُمحى الأشياء من حولي،
ولا يغدو سوى وجهك حيًّا، في أغاني النائحات
أيها الحارس ما تطلب منّي
ربما يمهلني الموت قليلاً فأغني".[3]

---

[1]- المصدر السابق، ص 110 .

[2]- انظر: الخوري،لطفي،(1991)، معجم الأساطير،ج1، بغداد، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة ص 80 –81، **أورفيوس بطل تراقيا المختلف عن غيره من أبطال الإغريق، إذ لم يشتهر لمآثره الحربية، بل اشتهر قبل كل شيء لموهبته الموسيقية المدهشة وعزفه على القيثارة.. بحيث أن الوحوش الكاسرة كانت تأتي لتستمع إليه، وحتى أن الأشجار كانت تتبعه، وقد أحب أورفيوس الحورية يوريديسي وتزوجها.. وقد لاحقها اريستايوس، وعند هروبها منه، لدغتها حيّة كانت بين الحشائش. ماتت يوريديسي ونزلت إلى العالم السفلي، فلحق بها أورفيوس، وتمكن من إقناع هيريديس وبيرسيفوني بإعادة زوجته إلى الحياة، بشرط واحد يقضي بأن لا يلتفت إليها في طريق رحلته، وعند أبواب هيديس، أراد أورفيوس الاطمئنان على وجود يوريديسي خلفه، فوجئ بعودتها إلى عالم الموت.. وتذكر الأسطورة إلى أن أورفيوس لم يحتمل فراق يوريديسي فانتحر، ونزل إلى العام السفلي.**

[3]- القيسي، محمد، الأعمال الشعريةج1/ ص 176 .

لقد وصل الشاعر إلى مرحلة في فترة من الفترات الأليمة، إلى اعتكاف الحزن، وهذا الأمر أوصله إلى غياب الكلمات، إذ لا يرى أمامه إلى الأمور السوداوية، إذ يستوي المنفى والوطن، وتصبح الأغنيات نشيدًا للفجيعة، يختفي كل شيء، عدا صوت النائحات، وما النواح إلى للحزن والألم. لذلك يطلب منالموت القليل من الوقت حتى يغني، ولكن أي غناء ؟!، يبدو أنه غناء يحمل الألم والفجيعة، والتحسر والضياع.

ولاينكر الشاعر دور الآخر في محاولة قتل داخله من خلال عمليات التهجير والنفي عن الوطن، باتفاقيات سلام ومعاهدات زائفة، باجتماعات ورايات كاذبة،ولكن هيهات هيهات ،أن تقضي هذه الأمور على كلمة شاعر.

" أواري الحزن في طيّات أغواري
وأطمر في رمال الغيب أسراري
على شفتي قد صلبوا حنين الحرفْ
أهانوا عفّة الكلمةْ
أرادوا الموت للكلمةْ
أرادوا الصمت للشاعرْ
وما حسبوا بأنّ الحرفَ بحرٌ ما له آخر
وأنّ المجد للشاعرْ".[1]

لقد أرادوا قتل شعره من خلال **(موت الكلمة)**، أرادوا موت الشاعر من خلال **(صمته)**، ومع ذلك وحتى لو مات الشاعر فله المجد ، لأن كلماته وأبداعه سوى تبقى كامتداد بحر ماله آخر.

إن الشاعر محمد القيسي رسم من خلال أشكال الموت تلك نموذجاً واقعيًا للإنسان المهجر المبعد عن وطنه عنوةً، فيرى بعين سوداوية واقعه وما يحيط به، فرؤية الموت عنده تنبع من جملة الأفكار والتصورات، والانفعالات والمواقف التي يستمدها الشاعر من سياق حياته، إذ إن ظاهرة

---

[1]- المصدر السابق، ص 26 .

الموت عند القيسي جاءت ملونة ،أحيانًا تحمل نزعة تشاؤمية انهزامية، يقترب منها الشاعر كثيرًا، وأحيانًا تكون نزعة تفاؤلية ، يحلم من خلالها الشاعر بحياة أفضل.

الفصل الرابع

الملامح الأسلوبية لقصيدة الموت في شعر محمد القيسي

تمهيد:

إنّ القصيدة الشعرية هي حصيلة معاناة صادقة، نابعة من إحساس عميق بالمسؤولية، ومن مواقف متعددة تختلف حسب طبيعة الزمان والمكان وطبيعة الحدث، وبالتالي فلكل قصيدة هدف نابع من موقف، وكل موقف نابع من تجربة، وكل تجربة تختلف من شاعر إلى آخر ، ولهذا نرى التنوع في الأساليب، فكل شاعر يتناول الموضوع من زاوية معينة، وبالتالي تختلف عن الآخرين، ومن هنا يكمن جزء من الجمال اللغوي في النص الشعري.[1]

وعرف العرب منذ العصر الجاهلي مصطلح الجمال وماهيته، ولكنهم لم يجعلوه مادة نقدية؛ حتى جاء العصر العباسي فتعاملوا مع العناصر الجمالية المعروفة في الجمالية الحديثة؛ لكنهم لم يطلقوا عليها مصطلح الجمالية.. فالجمالية مصطلح حديث، وهو مصدر صناعي يقابل الجمالي تماماً، وقد أصبح هذا المصطلح بآلياته المستجدة من موضوعاته وعناصره وأحكامه الجمالية منهجاً تحليلياً جمالياً لدراسة النص الإبداعي أدباً أو غيره، ومن ثم فهمه واستيعابه وتحليل إشاراته لإصدار الأحكام المتعلقة به، مما يؤدي إلى الإمتاع واللذة والفائدة، باعتبار ما يبنى عليه من عناصر الدقة والجودة والبهاء، وابتعاده عن الفوضى والرداءة والقبح... .[2] والجمالية مصطلح مترجم عن الكلمة الأجنبية (استاطيقي) ومعناها التطلع إلى موضوعات طريقة الشكل وإدراكها، وهي ترادف عند بعض الدارسين المحدثين مصطلح الجمالي،والشكلي، والفني.[3]

---

[1]- الآغا، يحيى زكريا،(1996)،جماليات القصيدة في الشعر العفلسطيني المعاصر، الدوحة ، دار الثقافة للطباعة والتوزيع،ص 7 .

[2]- ستولنتز، جيروم،(1981)، النقد الفني ـ دراسة جمالية وفلسفية، ترجمة فؤاد زكريا ـ بيروت ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشرص29.

[3]-انظر: جونسن، ر.ف،(1982)،موسوعة المصطلح النقدي ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، بغداد، دار الرشيد للنشر ،الجمالية ص267.

والجمالية تنظر إلى الشكل الفني للتعبير الأدبي من جهة الألفاظ والتركيب والصور والإيقاع، فتتوقف عند الألفاظ والتراكيب لمعرفة البهاء فيها، ثم تتأمل في دقة اختيار كل لفظ في دلالته السديدة على المعنى وتلاؤمه معه، ووضوحه وسهولته وعذوبته ورقته فلا ضَعف فيه ولا ركاكة، ولا خشونة ولا سماجة، ولا غموض ولا غرابة؛... إنه يتحلى بكل الحسن الذي توفر له البلاغة والفصاحة والبيان وفق ما عرفه العرب للفظ المفرد والمركب .[1]

إن نظرة الشاعر وطبيعة رؤيته الفنية والجمالية واختياره لموقف أدبي وتصور إبداعي تحكّمت في اختلاف التجارب الشعرية بين الشعراء، حسب الأرضية الفنية والرؤية المذهبية لكل شاعر، وتقاربت الممارسة النصية تجاه الشعر بين الإحيائيين والرومانسيين والواقعيين الاشتراكيين والحداثيين على ما في كل اتجاه من مرونة وتباين. [2]

والشعر الفلسطيني اتصل بحركة الشعر العربي الحديث شكلاً، ورؤية، وجوهرًا، لأنه يستمد من معرفته بالتراث العربي ، وقدرته على توظيف التراث، روحًا نضالية قوية، لذا نجد شعراء المقاومة في فلسطين، يتصلون بالتيارات الحديثة في الشعر العربي المعاصر، ويلجؤون إلى شعر التفعيلة، وينوعون في إيقاعهم داخل النص الشعري الواحد.[3]

فالقصيدة ليست مجموعة من الألفاظ والحروف تُنسج ويتم حشوها وإيصالها إلى ذهن القارئ، بل إن الحرف الذي يستخدمه الشاعر مرّ في ذهنه عشرات المرّات، وبالتالي يوظفه في المكان المناسب، وإذا كان الحرف بهذا الشكل، فما موقف الكلمة، ثمّ الجملة الشعرية، ثمّ الفكرة، وأخيراً القصيدة التي هي نتاج

1- ينظر: الفرق بين الجمال والجمالية في الشعر،مقالة في جريدة القبس، حمادة عبد اللطيف، العدد15000، 2015/3/6. .

2- اسماعيل،عز الدين،(1968)،الأسس الجمالية في النقد العربي،القاهرة، دار الفكر العربي،ص 86 .

3- الشيخ، خليل،(1997)، نصوص شعرية من العصر الحديث،ط1، عمان، منشوراتجامعة القدس المفتوحة، ص 168.

صراع داخلي وخارجي على السواء، وهكذا تنمو القصيدة بمراحلها المختلفة حتى تصل إلى القارئ في أجمل صورة، وأبدع ما يمكن أن يُقال، وهنا أيضاً جزء من جماليات النص الشعري.[1]

ولا بدّ من النظر إلى تصنيف شعراء المقاومة الفلسطينية، فتصنيفهم تم قسريًّا إلى ثلاثة أقسام، **القسم الأول** الذي بقي داخل فلسطين المحتلة عام 1948م، وقد تعرضوا للتجهيل و"العبرنة" والقمع الحضاري والثقافي ، وحاولوا بمقاومتهم، وأدبهم وأشعارهم ، وصمودهم فوق تراب أرضهم ، أن يتمسكوا بعروبتهم، **القسم الثاني** وهو الجزء الذي بقي في الأرض المحتلة عام 1967م، وتعرض للاضطهاد والقمع، لكنه بقي محتفظًا بجزء من خصوصية ثقافته وإبداعاته، رغم ثقل حجم الاحتلال ، واتساع سجونه ومعتقلاته، وسطوة قيوده، **والقسم الثالث** وهو الذي اضطر إلى الغربة والابتعاد عن الوطن، وعاش غريبًا يتمنى العودة ، رغم تلاحق الانتكاسات العربية، ولكنه اتصل بحركة التطور العربية والحضارية والثقافية ، ورغم هذه الغربة ، وهذا الشتات الذي أدى بالفلسطينيين إلى خلق البعد المكاني بينهم ، لم يستطع أن يبعدهم حضاريًّا أو أدبيًّا أو ثقافيًّا، لأنهم ينهلون من ذات المنبع، ولهم نفس الملهم ، ويوحدهم المصير نفسه، وفلسطين أمام أعينهم وفي قلوبهم، رغم تفرقهم ، فنجدهم يتواصلون في ثقافتهم وإبداعاتهم في كل مكان انتقلوا إليه[2].

والقيسي من هؤلاء الشعراء الذين ابعدوا عن وطنهم، ولكن بقي الموروث في أعماقه، لذلك نجد ثقافته وحسه اللغوي يهيئان له مناخات تفرض أبعادها على لغته بصورة يمكن من خلالها أن نتحسس آثارها في شعره، فهو الدافع للتجاوز والإبداع، فهو يسعى إلى توظيف ما قد ترسّخ في ذاكرته،" فأن تقول شعراً هذا رائع، أما أن يشكل هذا الشعر نسقاً جمالياً فهذا أروع ، لأنّ الشعر في حد ذاته ملمح جمالي إذا ما أضيف إلى شيء أو وصف به شيء، فأنت إذا ما أردت أن تصف

---

[1]- الآغا، يحيى زكريا،جماليات القصيدة في الشعر العفلسطيني المعاصر ،ص 7 .
[2]- الحنفي، معاذ محمد، البنية الإيقاعية في الشعر الفلسطيني المعاصر/ص 42 .

لوحة فنية أو مقطوعة موسيقية أو أي نتاج إبداعي فلن تجد أدق من كلمة – شعرية – لتّكون الوصف القرين للجمال والروعة والإبداع، إذن الشعر بذاته جمالية أو ملمح جمالي، فما بالك أن تحاول الوصول إلى جماليات الجمال، أو بعبارة أكثر دقة جماليات الملمح الجمالي".[1]

وقصيدة الموت عند القيسي جزء من هذا الشعر الحديث، فهي تحمل ملامح جمالية متنوعة، تظهر من خلال دواوين الشاعر وقصائده، ومن أهم هذه الملامح الجمالية :

1- شعرية العنوان: يعد العنوان من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس، حيث يسهم في توضيح دلالات النص، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية فهمًا وتفسيرًا، وتفكيكا و تركيبا. ومن ثم، فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار النص، والتعمق في عمقه الإيحائي، والسفر في دهاليزه الممتدة. كما أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص وانسجامه، وبها تبرز مقروئية النص، وتنكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة. وبالتالي، فالنص هو العنوان، والعنوان هو النص، وبينهما علاقات جدلية وانعكاسية، أو علاقات تعيينية أو إيحائية، أو علاقات كلية أو جزئية...

إن العنوان عبارة عن رسالة، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل والمرسل إليه، بحيث يسهمان في التواصل المعرفي والجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشيفرة لغوية يفككها المستقبل، ويؤوّلها بلغته الواصفة(الما وراء لغوية)، وهذه الرسالة ذات الوظيفة الشعرية أو الجمالية ترسل عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال.[2]

[1]- انظر: الفرق بين الجمال والجمالية في الشعر ،مقالة في جريدة القبس، حمادة عبد اللطيف، العدد15000، 2015/3/6 .
[2]- حمداوي، جميل،(1997)، السيميوطيقا والعنونة، ، الكويت ،مجلة عالم الفكر ، المجلد 25، العدد:3، ص:79-112 .

لقد بات العنوان أول شيفرة رمزية يلتقي بها القارئ ، فهو أول ما يشدّ انتباهه وما يجب التركيز عليه وتحليله، بوصفه نصًا أوليًا يشير، أو يخبر، أو يوحي بما سيأتي. وعلى القراءة باعتبارها تلقيًا منهجيًا، أن تلتفت إلى العنوان محاولة ربطه بجسد النص، وهنا تبدأ عملية تأويل العنوان وبناء نصيّته .[1]

إذن العنوان ليس عنصرًا زائدًا، وإنما هو عتبة أولى من عتبات النص ، وعنصر مهم في تشكيل الدلالة، وتفكيك الدوال الرمزية ، وإيضاح الخارج قصد إضاءة الداخل... .[2]

ويقوم العنوان بدور فعّال في تجسيد شعرية النص وتكثيفها أو الإحالة إليها. فالعنوان، فضلًا عن شعريته، ربما شكّل حالة جذب وإغراء للمتلقي للدخول في تجربة قراءة النص ، أو حالة صد ونفور ومنع. ومن هنا فإن على دارس الشعر الحديث أن يدرك أن العنوان غدا جزءًا من استراتيجية النص، لأن له وظيفة في تشكيل اللغة الشعرية ليس بوصفه مكملًا أو دالًا على النص، ولكن من حيث هو علامة لها بالنص علاقات اتصال وانفصال.[3]

إذن من الممكن جدًا أن يؤسس العنوان لشعرية من نوعٍ ما، حين يثير مخيلة القارئ، ويلقي به في مذاهب أو مراتب شتى من التأويل ، بل يدخله في دوامة التأويل ، ويستفز كفاءته القرائية من خلال كفاءة العنوان الشعرية. فالعنوان بما هو لحظة تأسيس إما أن يؤسس لنصيّة شعرية ، أو ألا يفعل ذلك أبدًا.[4]

---

[1]- الجزار، محمد فكري(1998)، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ص 68.

[2]- بنيس، محمد،(1989)، التقليدية، الدار البيضاء، دار توبقال، ص 113 .

[3]- يحياوي، رشيد،(1998)، الشعر العربي الحديث" دراسة في المنجز النصيّ"، الدار البيضاء، افريقيا الشرق، ص 110 .

[4]- قطوس، بسام،(2002)، سيمياء العنوان،ط2، عمان، وزارة الثقافة، ص 58.

ونجد من قراءة عنوانات قصائد الموت عند القيسي، تردد لفظة الموت أو مرادفاتها، أو مفردات تحمل في دلالتها الموت دون التصريح به، فهي عنوانات حملت معنى الموت: "**الليل والقنديل المطفأ، كم يلزم من الموت لنكون معًا، مشهد منزلي، انطفاءات، الموت خلف الباب، العروس، السنابل القتيلة، موت أمير فلسطيني، سيرة المنفى، الجثة، مستعينًا بموتي، زنابق الموت، المصلوب، الموت والخيبة، جراح فلسطينية، منزل، في اكتمال الضحى، أيقونة 5، صحيح الحياة، طقوس عربية...**".(1)

وبالنظر إلى هذه العنوانات ، نجد تصريحًا مباشرًا من العنوان بأن القصيدة تحمل في طياتها رموزًا من الموت ،والفناء ، والهلاك، والضياع، ولكن لاننكر على القيسي مراوغته في بعض العنوانات،" فترى العنوان يحمل من المكر والمراوغة ما يؤهله للرقي في معارج الشعرية".(2)

فقصيدة **(صحيح الحياة)**، يخادع فيها الشاعر القارئ من خلال عنوان يحمل لفظتين معاكستين للموت ورموزه، إلا أن هذا العنوان لم يكن سوى متاهة يدخلنا بها الشاعر إلى نص شعري يعجّ بانكسارات الأمال والأحلام ، فيقول:

" أهيّء يومي

وأنسج ثوبَ الرّصيفِ لموتي الذي ما اكتملْ

فقد يكشفُ الوجهُ خيط الأكاذيبِ،

يكشفُ هذا الحجلْ

فلا أدعُ الوهمَ يمشي معي

إلى قُبلةٍ فوق رأس الجبلْ

1- العنوانات من الأعمال الشعرية للشاعر محمد القيسي.

2- قطوس، بسام، سيمياء العنوان، ص 66 .

ولا يذهب الوقتُ بين رياح الوعودِ،

وبينَ حديث الهزلْ

أُهيّء يومي

جديدًا معافى

فقد اهتدى ليدَي

وقد أستعيدُ الضِفافا

وأغسل هذا الفضاء المضرّج بالذكرياتِ

وأغسل قلبي تماما

من القبّرات

ومنّي

وحيدًا إذن أتهجّى صحيحي

وأخبرُ عنّي". [1]

فالإنسان يهيئ يومه لشيء جميل في العادة، ولكن عند القيسي يهيئ يومه **(لموت ما اكتمل)**، فبهذا الموت الذي لم يكتمل، تتجلى الأمور أمام الشاعر، فيتخلص من أوهامه، والوعود التي تملؤ تفكيره ، ويتخلص من ذكرياته، بها يكون قد عاش الحياة بشكل صحيح.

فالشاعر قرر أن يكسر قاعدة أن الذكريات تنعش الإنسان وتمده بالحياة، وإن الموت هو الذي يحقق له الحياة الصحيحة.

إن قراءة العنوان بوصفه نصًا موازيًا لا تشفي غليل الباحث للوصول إلى يقين بشأنه، فالعنوان يحمل طاقة فكرية هائلة، ولابدّ من أن نفرغ إلى النص، بوصفه بنية دلالية تمتلك سياقًا، ربما يكون

---

[1]- القيسي، محمد ، الأعمال الشعرية،ج2، 317 .

دالًا على العنوان ، ويسمح لنا بأن نفسر العنوان من خلال النص، ثم نفسر النص من خلال العنوان![1] . فعنوان قصيدة **(العروس)**، لقصيدة من قصائد الموت يحمل دلالات متضاربة، إذ كيف لمفردة العروس أن تحمل معنى للموت، والمتعارف عليه أن هذه المفردة تدل على الفرح والسرور والصفاء والنقاء، لكن كل

هذه الدلالات تبددت عندما اقتحمنا النص ، ووجدنا أن هذه العروس ليست سوى مدينة فلسطينية معذبة منكسرة ، مجبولة تربتها بدم أبنائها الشهداء ، ولكن مايزال هناك رجال يولدون للدفاع عنها وتحريرها بالرغم مما حلّ بها . فيقول في قصيدة (العروس):

" من الرماد يولد الرجال يا عمواس

من السقائف المهدّمةْ

ترابك المجبول بالدماء مايزال أخضرا

يضل يحمل الشذى

عبيرهم يظلّ عالقًا ، على بقية الجدران يا حبيبتي والمصطبة

عمواس يا معذبةْ

أتعلمين يا عروسُ عن طيورنا المغرّبة

تجيء مثل الريح والرعود والمطرْ

تشيلُ في منقارها لجرحك الدواءْ

فلترقبنَّ في الليالي المعتمةْ

أسرابها إليكِ قادمةْ

عمواس يا مهدَّمةْ

الرمحُ بَعْدُ ما انكسر ".[1]

---

[1]- انظر : قطوس، بسام، سيمياء العنوان، ص 73 بتصرف.

[1]- القيسي، محمد ، الأعمال الشعرية، ج1/ ص 72 .

فالعنوان إذن ذو حمولة دلالية، وعلامات إيحائية، شديدة التنوع والثراء، مثله مثل النص، وإذا كان النص نظامًا دلاليًا وليس معاني مبلغة، فإن العنوان كذلك نظام دلالي رامز له بنيته السطحية ومستواه العميق مثله مثل النص تمامًا [2]، فالعروس تحمل دلالة الشيء الجديد، فلا يؤتى بالعروس إلا للإعمار الجديد ،أي أنها ستلد من جديد جيلًا يدافع عن عمواس بعد ولو بعد غياب وانكسار وموت.

2- شعرية الموت : مفهوم الشعرية هنا منسوبٌ إلى روح الشعر الذي يحقق المواصفات الجمالية من خلال كثافة اللغة، وتفجير طاقاتها الإبداعية : التعبيرية والإيحائية، ولغتها الرّيانة التي تبعث على الإمتاع والإلذاذ، في تجربة يتمّ فيها التحام الذات بالموضوع، في علاقة جدلية تتموضع فيها الذات، أو يتذوّت فيها الموضوع .[1]

ولعلّ ما يحقق تلك الشعرية طريقة استخدام اللغة، فاللغة من أبرز مقومات الشعر، ويكاد يكون تعريف الشعر في شكله الأولي : فن التعامل مع الكلمات، الكلمات بوصفها عوالم. وإن على الشاعر المتمكن أن يوثّق صلته باللغة وقوانينها بحيث تصبح ملكة اللغة فطرة في نفسه يغرف منها بلا انتهاء، فيبدع الصور والموسيقى [2]، لأن الكلمات التي تصوغ التجربة الشعرية تحمل خصائصها الجديدة من خلال العمل الشعري لما يبثّه الشاعر فيها من عاطفة وخيال، وانسجام يتناسب والصورة التي يحاول إقامتها بواسطة تلك اللغة، فالشاعر بإحساسه المرهف وسمعه اللغوي الدقيق يمدّ للألفاظ معاني جديدة لم تكن لها.[3]

---

[2]- انظر: قطوس، بسام، سيمياء العنوان،37 .

[1]- انظر: شعرية الرواية، رواية الشعرية،قراءة في ذاكرة الجسد، د.بسام قطوس، بحث مرقون بالآلة الكاتبة ومرسل للنشرفي مجلة جامعة الزرقاء الأهلية 2015// ص 7.

[2]- انظر: عيد، رجاء،(1985)، لغة الشعر،ط1 ، الاسكند رية، منشأة المعارف ، ص 93.

[3]- أبو ديب ، كمال،(1987)، في الشعرية، ط1، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ص38 .

ويلجأ الخطاب الشعري إلى استخدام الكثير من الأدوات الفنية للوصول إلى أهدافه المنشودة؛ ليصبح في عين المتلقي صورة بهية تسيطر على كل أحاسيسه ومشاعره وعواطفه، وتحقق في الوقت نفسه راحة للأديب ، تمكنه من اختراق الحاجز بينه وبين القارئ ، وشعوره بالرضا لحصوله على إعجاب المتلقي وقبوله.

إذاً، إن اللغة الشعرية تتميز عن اللغة العادية في النوع والدرجة ، غير أن هذه العناصر والصور تختلف من حيث الأهمية والموقع الذي تحتله من نص شعري إلى آخر. ذلك أن الصورة الواحدة لا تحتفظ بدورها الجمالي البارز في كل النصوص الفنية، فالصورة الأسلوبية التي تنهض بدور جمالي وفني بارز في نص معين يمكن أن تفقد صدارتها في نصوص أخرى.[1]

واشتملت أشعار القيسي على معجم خاص لمفردات الموت؛ لأنها تأثرت بالأحداث من حولها، فالواقع الفلسطيني يحفل بأحداث جسام، تركت أثرها في كل شيء من حولها فأثرت القاموس اللغوي وأدخلت مصطلحات جديدة تداولها النقاد والدارسون وهم يقاربون قصيدة الموت لدى القيسي.

"إن الفن الشعري خاصة لا يقف على دلالات اللغة الوضعية، بل إنه يقوم بعملية خلق جديدة للأشياء معتمدًا على تركيباته اللغوية حيث يبتعد عن فكرة البعد الواحد ، فنستطيع أن نرى أبعادًا متعددة تلوح من خلال القصيدة، وعلى ذلك، فاللغة في الشعر تعتمد على الشفاهية الحدسية وعلى لمعان خاطفٍ يتموج خلف الكلمات... ومن هنا ندرك أن القصيدة لا تحمل معنىً محددًا بل إن معانيها تتخلّق في السياق العام".[2]

---

[1]- موكاروفسكي،يان،(1984)،اللغة المعيارية واللغة الشعرية ،ترجمة ألفت الروبي، القاهرة مجلة فصول، م5،ع1، ص 42.
[2]- انظر: عيد، رجاء، لغة الشعر ، ص 94 .

ولغة الشعر الفلسطيني المعاصر تمتلك طاقات تعبيرية عالية، تتكثف فيها دلالات الألفاظ، وتنفرد الكلمات بالإيحاءات الخاصة في المواقف المختلفة، وبحسب مقتضى الحال، مما يخلق حالة من الارتياح النفسي لدى المتلقي،" فكل كلمة هي قطعة من الوجود أو وجه من وجوه التجربة الإنسان ومن ثمّ فإن لكل كلمة طعمًا ومذاقًا خاصًا ليس لكلمة أخرى، لأن التلاحم بين اللغة والتجربة يجعل لكل كلمة كيانًا متفرّدا عن كل ماعداه".[3]

والشاعر محمد القيسي من الشعراء الذين أبدعوا في عملية التشكيل اللغوي، إذ إنه لم يقدم لنا أشعاره بصورة حسية منعكسة عن الواقع كما هو، إنما عمد إلى الإيحاءات والرموز والدلالات فحمّلها معاناته وأحاسيسه، وهذه الإيحاءات والدلالات تتفجر مع كل قراءة جديدة، فتضع القارئ أمام تقاطع شفرات النص وانفعالات الشاعر، عندها فقط يبدأ القارئ بالاستكشاف، والتحليل والتأويل، وتتبع المعاني .

وبالنظر إلى مقطع من قصيدة **(الحداد يليق بحيفا)**، يحفل النص بكثير من الألفاظ والإشارات الدالة على حالة اليأس والحزن والإحباط التي تحاصر الشاعر من جرّاء ما تعانيه مدينة حيفا، إذ دخل الاحتلال عليها وعاث فيها فسادًا، ولم يكن من الشاعر إلا أن يرصد المشهد من الزوايا المحيطة به، ويصقل أحداثه بلغة رمزية فائقة الحساسية، تعبر عن المشهد بشكل حي، وعن الموت بشكل خاص.

---

[3]- اسماعيل، عز الدين،(1992)، الشعر العربي الحديث، ط5 ،القاهرة، دار الفكر العربي، 159

" مراسم قهرك جاريةٌ،

وأنا أحتفي بجواد التفتّح والنار في ليلك المأتميّ

وأحمل راياتي السودَ، أُولدُ في شهقة الموت،

أعبر حزنك الساحليَّ

أغنّي فيمنعني الشرطيّ

تيممتُ باسمك آن طويتُ الصحارى إليك وكان الطريقْ

خنادقَ فارغةً ، أو

بنادق عاطلةً

والرياح تصفّر في ((الغُورِ)) ما من بريقْ

ولا من دخانِ اشتباكٍ هناك ولا من طلقةٍ في الفضاء الرمادي،

هذا زمان السكوت المدوّي، زمان الحريقْ ".[1]

فقد عمد إلى استخدام ألفاظ توحي بالموت دون ذكر اللفظة صراحة، ليبين عمق المأساة التي يعانيها وأنها أشبه ما تكون بالموت، "**مراسم قهرك، ليلك المأتمي، راياتي السود، زمان الحريق**"، ثم يعبّر عن فقدان الأمل من الدفاع عن المدينة من قبل الأمة العربية، فيصف الأمر بتراكيب ذات إيحاء حقيقي كي يمثل الواقع كما هو، "**خنادق فارغة، بنادق عاطلة، ما من بريق، ولا طلقة، هذا زمان السكوت**"، وكل هذه التراكيب وغيرها سمحت للشاعر برسم الصورة التي يسعى إلى الإيحاء بها، وإيصالها إلى المتلقي . وتكثر الأمثلة من قصائد القيسي على هذا الأسلوب وهذه التراكيب التي يحاول من خلالها الشاعر أن يبتعد عن المباشرة والتقريرية.

---

[1]- القيسي، محمد ، الأعمال الشعرية، ج223/1. .

ولا بدّ من الإشارة إلى استخدام الشاعرمحمد القيسي للموروث الشعبي من الأشعار الشعبية والأغاني الفولكلورية، والعادات والألفاظ، حيث إن "هذا الموروث يلعب دورًا في إغناء القصيدة وإضاءتها، ومحاولة استلهام روح هذا الموروث يعطي القصيدة بعدًا تشكيليًّا جديدًا ساهم في توجيه القصيدة الفلسطينية...،إنني أدخل الأغاني الشعبية الفلسطينية في القصيدة للتغلب على الشعور الاغترابي.[2]

إن هذا الموروث كنز يغني النص الشعري ويرتقي به، لأنه يحمل نبض الشعب الذي يريد التحرر فضلًا عن أن الشاعر حمّله اغترابه، وتجاربه وهمومه بشتّى أنواعها، فعكس الشاعر رؤيته بأسلوب غنائي معبّر،في مثل هذه المواويل الشعبية:

"(جسمي تقطّع وجرحي طال يا مولايْ
وأقلام صبري براها الهمّ يا مولايْ
نـهر الفرات من دمعتي فارْ
ودوَّرْ طاحونُ وخشبْ
ولا بارك الله في قومْ يعبدونَ الخشبْ
أنتَ تنين يا للي من حديد وخشبْ
اشْحال أنا من لحم ودما صابر على بلوايْ)".[1]

إن الاستفادة من استخدام إمكانات الأغنية الشعبية يمنح الشاعر القدرة على التعبير الصريح والواضح عن معاناته ومعاناة شعبة اللاجئ[2]،ولقد انتقى القيسي المقاطع التي تصور آلام الشعب وهمومه، لتنسجم مع حالته التي يشعر بها والمعاناة التي يعيشها المتمثلة ، باللجوء ، والاغتراب والضياع و، فجاء الألفاظ حزينة تصف شعور الألم والحرمان،" **جسمي تقطّع، جرحي طال، الهمّ**

---

[2]- انظر: القيسي، محمد، الموقد واللهب، ص 13 /ص15 .
[1]- القيسي، محمد ، الأعمال الشعرية، ج190/1 .
[2]- انظر: خليل، ابراهيم، محمد القيسي – الشاعر والنص،ص 37 .

، **دمعتي، تنين**"، وحتى الأشياء المحيطة تساعد في ايصال الصورة على أكمل وجه من السوداوية ، **كالنهر** ، **والطاحون**، وكلّها تصب في معجم الموت.

ويقول في مشهد آخر :

" **ولو أن الطريق إليك ميسورُ**

لما وهنت خطايَ، وسُمّرتْ نظراتي اللهفى وراء البابْ

ولا سهدتْ عيونك في انتظار زيارة الأحبابْ

ولا ما بيننا حال العدى والموتُ والسورُ

ولكن الثعالب في ربوعك تزرع الأهوالْ

وتغتال ابتسام الصبح فوقَ مباسم الأطفال

(يا دارْ، يا دارْ، لو عدنا كما كنّا

لاطليك يا دارْ، بعد الشيد بالحنّا)".[3]

ويوظف الشاعر بعض الألفاظ والتراكيب التي تحمل العادات والتقاليد، والأمور التي كانت في الماضي الجميل، فيستحضرها في أشعاره ليؤكد على أن الوطن مازال حيًّا في داخله بالرغم من الحياة المميتة التي يعيشها .

3- الصورة الشعرية للموت: للصورة مكانة جوهرية في كل عمل فني، لاسيما الشعر بوصفه دعامة من الدعائم المهمة في القصيدة ، فاستخدامها يوضح ما عجزت اللغة الواضحة عن إيضاحه، لكونها الباعث الذي يعطي المتعة الجمالية، كما أنها في الوقت نفسه الوسيلة الفنية الجوهرية التي تنقل التجربة في معناها الجزئي والكلّي، فهي جزء من التجربة الشعرية تتآزر مع أجزائها الأخرى في نقل التجربة بصدق فني وواقعي.[1]

---

[3]- القيسي، محمد ، الأعمال الشعرية، ج1، ص 64.

[1]- انظر: هلال، محمد غنيمي،(1982)، النقد الأدبي الحديث، ط2، بيروت، دار العودة، ص442، بتصرف.

والصورة الشعرية في قصيدة ما، تشبه سلسلة من المرايا موضوعة في زوايا مختلفة بحيث تعكس الموضوع ، وهو يتطور في أوجه مختلفة، ولكنها لا تعكس الموضوع فقط بل تعطيه الحياة والشكل ففي مقدورها أن تجعل الروح مرئية للعيان.[2]

وتعتمد الصورة الشعرية على الخيال، ولكن لا يعني الخيال أن نتصور أشياء غائبة عن الحس، إنما هو حدث معقد ذو عناصر كثيرة يضيف تجارب جديدة، وهناك "من يرى أن للخيال نوعين: **الخيال الأولي،** وهو القوة الحيوية التي تجعل الإدراك الإنساني ممكنًا، وهو تكرار في العقل المتناهي لعملية الخلق الخالدة في الأنا المطلق. **والخيال الثانوي،** وهو صدى للخيال الأولي في نوع الوظيفة التي يؤديها ولكنه يختلف عنه في الدرجة، وفي طريقة نشاطه، إنه يذيب ويلاشي ويحطم لكي يخلق من جديد، وبواسطة الخيال الثانوي تستطيع صورة معينة أو إحساس واحد أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس في القصيدة، فتحقق الوحدة الواحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر". [3]

وترتبط الصورة الشعرية بلغة الشعر، فالصور الشعرية قديمها وحديثها مكوّنة من كلمات، وعبارات تنتمي إلى لغة القصيدة ، والصورة الشعرية الحديثة تبدو كأنها لعبة لغوية ، حيث جاء كثير من الصور الحديثة محاولةً لكسر المتلازمات والتوقعات اللغوية، ولتوسيعٍ وتغييرٍ في احتمالات اقتران مفردة لغوية بأخرى، إضافة إلى دمج مفردات لغوية من حقول دلالية لغوية متباينة ومتباعدة، ومن فضاء الحسيّات، وفضاء المعنويات ، وبناء تراكيب لغوية من مفردات لا يجمعها إلا الكتابة الآلية والاستدعاء الذهني الحر، بصورة غير موجهة عقليًا.[1]

---

[2]- لويس، سي دي،(1982)، الصورة الشعرية ،ترجمة أحمد نصيف الجبابي، مالك صبري،بغداد، دار الرشيد ،ص 90-91 .
[3]-انظر : بدوي،محمد مصطفى،(د.ت). كولردج، القاهرة دار المعارف، ص 59-60 .
[1]- النجار، عبد الفتاح،(1998)، حركة الشعر الحر في الأردن(1979-1992) ،إربد، مطبعة البهجة ، ص287.

إن الصورة الشعرية ماهي إلا صياغة لغوية تتحكم فيها العواطف والخيال ، لتمثّل تصوّرًا ذهنيًّا للتجربة الشعرية ، كون لغة الشعر ذات علاقة وطيدة بالصورة، فالصورة تركيبة لغوية قبل كل شيء وهي تنتج عن علاقة مؤلفة بين الكلمات.(2)

وبالنظر إلى الصورة الشعرية في شعر القيسي ، نجد أن الشاعر عمد إليها وسيلة للكشف عن أحاسيسه النفسية وتجسيد أشكال الموت، فهي بالنسبة له رصد للمشاعر والعواطف الجيّاشة، فضلًا عن أن صوره الشعرية تحفل بالمفردات والتراكيب الفلسطينية، مؤكدًا بذلك على ارتباطه الوثيق بالقضية الفلسطينية والشعب المحتل، فعالج من خلال هذه الصور آلامه وأحلامه، أحزانه وأفراحه، حياته ومماته.

ولعّل القيسي يحاول بصوره الشعرية أن يتغلغل داخل نفس المتلقي فيترك فيها تجربة حسية ثرية وصادقة عن الموت وأشكاله، إذا جاء الموت بمسميات مختلفة تناسب الصورة، فمعجم القيسي الموْتي يعج بهذه المسميات والتراكيب، **فالأسى، والجرح ، الأنين، نكابد الآلام** ،مفردات تحمل في داخلها موتاً نفسي.

" **وما في جعبتي غير غير الأسى والجرحْ؟**

فخلّيني، تُعشّش في شراييني

عناكب حزننا المشبوب، خليني

أُغني للرياح الحاملات أنين إخواني

لِغربتنا ونحن نكابدُ الآلام، نطعم ذاتنا للحرف والفكرةْ

2- درويش، عيسى سلمان،(2003)، الموت في شعر السياب ونازك الملائكة، رسالة ماجستير ، بغداد ، جامعة بابل، 169 .

أموت، وهل تموت الشمس لو طالت خيوط الليل؟

سيزهر حُزننا، إما يعانق شعبنا فجر الخلاصِ، ويكسر الجرةْ ".[1]

يقدم الشاعر خلال الأسطر السابقة ، مجموعة من الصور الشعرية التي تجسد المشاعر والأحاسيس معتمدًا فيها على مفردات الطبيعة والأشياء المحيطة به، وهذا الأمر يقوي أبعاد الصورة وينير زواياها، فالشاعر من خلال الأبيات يصور الوضع المأساوي الذي يعيشه، فقد استقرت فكرة المنفى والاغتراب وعششت في جسده كما تعشش العناكب في البيوت المهجورة، ثم أخذ يحمّل الرياح غناءه الحزين، وما الغناء هنا إلى للدلالة على فجيعة الشاعر وانكساره ، ثم يطرح سؤالًا يدعو للتفكير هل تموت الشمس لو طالت خيوط الليل؟، إن الموت الذي يتحدث عنه الشاعر مؤقت، إنه كغياب الشمس عند حلول الليل، وسوف تظهر من جديد، لذلك يأمل الشاعر بعد حالة الموت التي عاشها أن يزهر الحزن، ويحل السلام وتعود الأحوال كما كانت.لأن الأحزان إذا أزهرت فهذا يعني أنها حصل على ما تسعى إليه كالزهرة التي تحتاج إلى الماء والغذاء والضوء حتى تتفتح وتكبر.

ويعكس القيسي في صورته الشعرية أيضًا حالة الشعب الفلسطيني الذي سيطر عليها الاحتلال الصهيوني وسلبه أرضه، وموقف العرب إزاء ذلك الأمر، فيقول في قصيدة **(يوسف في الجبّ)** :

---

[1]- القيسي، محمد ، الأعمال الشعرية، ج1/ص 48 .

"عذبني الأعداءُ لأنّي

لم تعشق عيناي سوى وطني

صلبوني في الغربة يا حادي الركبْ

قَيّدَني إخواني ورموني في الجبّ

قتلوني بجواب الصمتْ

قتلوني ياحادي الرّكبِ لأنّي أحببتْ".(1)

ويظهر من خلال النص دلالة رمزية توحي باتصال بين قصة سيدنا يوسف الذي ألقاه أخوته في الجبّ من الغيرة، لكثرة محبة والده له فعاش بحسرة وألم، ومعاناة الشعب الفلسطيني وخذلان الأمة العربية لهم، فكان صمتهم سببًا في ظلمهم واضطهادهم وضياع حقوقهم وربما موتهم.

بالنظر إلى نهاية قصة سيدنا يوسف، نجد أن سيدنا يوسف اجتمع بوالده وأهله ، وتلاشت كل مظاهر الكيدة والغيظ من أخوته وذلك بعد معجزات له ، ولكن حال الشاعر مختلفة قليلًا، فهو ما زال تحت وطأة الموت بسبب الصمت المحيط به، ولن يزول هذا الموت إلا بحدوث معجزة كما حدث مع سيدنا يوسف.

وعمد القيسى أيضًا إلى أنسنة الموت (التشخيص) وهي طريقة تصويرية " ترتفع فيها الأشياء إلى مرتبة الإنسان مستعيرة صفاته ومشاعره"(2)، ليوصل صورة حقيقة لشعوره به، وليدعم الدوافع النفسية، حيث تكمن رغبته في إثراء نصه ، وإضفاء بُعد جديد لقصيدة الموت.

ويظهر ذلك جليًا في قصيدة (**الموت خلف الباب**)،إذ يقول فيها:

" الموت خلف الباب هل تتسمعين خطاهُ ،

---

[1]- القيسي، الأعمال الشعرية،ج1/ ص51 .

[2]- عبد النور، جبور، (1979). المعجم الأدبي، بيروت، دار العلم للملايين، ص 67 .

أم تتزيّنين لطلعتي ورضى الوصولِ؟

بُحّتْ ربابات المغني،

ما انتهى مدّ النشيد، ولا استحال إلى ذهولِ

عَيْني على أطفال قريتنا،

وكيفَ عراهمو هَمّ الذبول

كبروا مع الأيام، آه أكاد ألمحهم

كأني ما نأيت ، ولا عرفتُ،

مكابدات النار والدم والرحيل ".[1]

فبأنسنة الشاعر للموت ، رسم صورة شعرية كلية للموت، حيث جسّده كشخص يترصد من خلف الباب ، وما هذا الموت إلا العدو الصهيوني الذي استباح البلاد ، وحول طفولة أولادنا إلى هموم، وحول الوطن إلى دم ونار.وهذا الموت المترصد خلف باب طالت إقامته، إذ إن ربابات الغناء ذهب صوتها من كثرة النواح والعويل على من أخذهم الموت المترصد، وما زال نشيد الفجيعة مستمرًا دون تغيير .

1- القيسي، محمد ، الأعمال الشعرية، ج169/1 .

4- التناص الأسطوري لقصيدة الموت: التناص من أبرز سمات الخطاب الشعري المعاصر، ومن أدق خصائص بنيته التركيبية والدلالية، حيث تتداخل فيها أبنية نصوصية لها صلة مختزنة في ذهن المبدع، وبذلك يصبح النص مجموعة من النصوص السابقة الممتدة في الذاكرة ، والتي تلتقي جذورها في حقل التناص.[1]

يقول باختين : لا يوجد تعبير لا تربطه علاقات بتعبيرات أخرى. ويرى أنه ليس هناك تلفظ مجرد من التناص ، إذ كل خطاب يعود على الأقل إلى فاعلين، وبالتالي إلى حوار محتمل .[2]

أما جوليا كريستيفا التي تعد أول من استخدم التناص حين أطلقته في كتاباتها عامي (1966-1967) حيث شاع بعد ذلك هذا المصطلح بين النقاد، فقد رأت أن **التناص** هو التفاعل النصي في نص بعينه، وقد رأى غيرها أن التناص يشمل مجالات عديدة في النص الأدبي هي :التذكر أو الاستفادة، أو الاستعمال الصريح، أو المقنع، أو الساخر أو الإيحائي للأصول.[3]

وعند النقاد العرب ، يعرَّف **التناص**" وجود علاقة بين ملفوظتين، وقد يتجاوز ذلك ليشمل النص الأدبي في جميع نواحيه، فهو يحيل النص إلى مدلولات خطابية متغيرة بشكل يمكن معه قراءة خطابات عديدة داخل القول الشعري"[4]. " أو هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة" [5]، وأيضًا" هو إعادة كتابة وقراءة لنصوص أخرى لا محدودة، يمكن أن تحوّل النص إلى صدى أو تغيير أو اجترار".[6]

---

[1]- العف،عبد الخالق(2000)،التشكل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر،ط1،السلطة الوطنية الفلسطينية، مطبوعات وزارةالثقافة ص66.
[2]- باختين، تودوروف،(1996)، المبدأ الحواري ، ترجمة فخري صالح، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص147-149 بتصرف.
[3]- داغر، شربل(1996)، التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري، مجلة فصول، م 16،عدد21، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ص127.
[4]- حافظ، صبري،(1997)، أفق الخطاب النقدي، ط1، القاهرة ، دار شرقيات ، ص 131 .
[5]- مفتاح ، محمد،(1992) ، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، ط3، الدار البيضاء، مركز الثقافي العربي، ص 121 .
[6]- بنيس، محمد،(1985) ، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية، بيروت، دار تنوير،ص 252 .

وفي الشعر الحديث، فإن التناص يعد سمةً أسلوبيةً جوهريةً لا مناص منها، لأنه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمنية والمكانية ومحتوياتها،ومن تاريخه الشخصي، أي من ذاكرته، فأساس إنتاج أي نصّ هو معرفة صاحبه للعالم ، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي [1].

"ولعل مشكلة التعبير هي التي تحمل الشعراء على التفتيش عن عبارات جديدة غير مستهلكة تستطيع أن تنقل أكبر قدر ممكن من المعاناة والإحساس، وهي تدفعهم إلى خلق رموز جديدة، وبعث أساطير قديمة ، واقتحام أرض مجهولة واستعارة لغة دينية وآيات قرآنية ،وتضمين معاني الوحي بلغة تحاكيه وصياغة تؤاخيه وإن لم تبلغ شأوه".[2]

وأوجد القيسي في الأسطورة وبخاصة أسطورة الموت، ملاذًا، أو متّكأً،" لأن الشعر كان ولم يزل وليد الأسطورة، إذا ابتعد عنها جفّ وذوى، والشاعر الحديث عاد للأساطير القديمة ووظفها في شعره للتعبير عن تجاربه تعبيرًا غير مباشرٍ ، فتذوب الأسطورة في بنية القصيدة ، لتصبح من صميم تركيبها مما يمنحها كثيرًا من السمات الفاعلة في بقائها وإنقاذها من المباشرة والتقرير والخطابية ".[3]

لقد أصبحت الأسطورة عند الأدباء معينًا لا ينضب يوظفون منها عناصر في إبداعاتهم الأدبية وفق قناعاتهم ومتطلبات مجتمعاتهم وبذا ترجع صلة الأدب بالأسطورة لاشتراكهما بالكلمة ثم صدورهما عن مصدر واحد وهو المتخيّل.[4]

---

[1]- مفتاح،محمد،(2002) تحليل الخطاب الأدبي،ط1، الدر البيضاء، المركز العربي ، ص123 .

[2]-جيدة، عبد الحميد(1980) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر،ط1،بيروت ، مؤسسة نوفل،ص 66.

[3]- الموسى، خليل(2000)قراءات في الشعر العربي الحديث المعاصر، اتحاد الكتاب العرب ، ص 88-89 .

[4]- الخطيب، عماد الدين،(2006)، الأسطورة معيارًا نقديًا(دراسة في النقد العربي الحديث والشعر العربي الحديث)،عمان،جهينة للنشر ص 43 .

وللشعر الفلسطيني نصيب من الأسطورة، إذ جاء استخدامها للتعبير عن قضية أممية تحمل الكثير من المشاعر والأحاسيس المختلفة، ولتحقق غايات في نفس الشاعر ،" فالرمز الأسطوري بطقوسه، والفن بإنجازاته، لهما وظيفة واحدة ، هي الإدراك والشعور الدقيق بالمجتمع، وعكس الحياة الانفعالية الجماعية للمجتمع".[1]

"وقد تعددت أصول الأسطورة وتنوعت، مصادرها في الشعر الفلسطيني بحيث اتجه هذا الشعر إلى الشمول والطموح لمعاينة البعد الإنساني والوصول بالتجربة الشعرية إلى المدى الجماعي بعامة، فلم يقف عند مناهل الأسطورة المحلية كالبابلية والكنعانية أو الفرعونية مثلًا، بل تعدى ذلك إلى أساطير الأمم الأخرى متمثلة في الأساطير اليونانية التي كانت أشدها تأثيرًا وأكثرها ذيوعًا بين الشعراء" [2]

وتبدو أهمية الأسطورة من كونها بنية ثقافية أصيلة،تكسب القصيدة أبعادًا جديدة، لما يتوافر فيها من رموز ومعانٍ ذات قيم إنسانية مدهشة تفتح الطريق للتعبير عن تجارب أكثر عمقًا ، وتسهم في تقديم رؤية جديدة أروع، وأفق أرحب للتفكير والإحساس بالحياة على مختلف الصعد.[3]

فضلًا عن أن الأساطير تمتلك القدرة على التشخيص، ومنح الحياة الداخلية والشكل الإنساني معطيات الطبيعة والحياة، واللغة الفطرية النفّاذة، والصور البيانية القادرة على الإحاطة والكشف.[4]

والشاعر محمد القيسي استحضر الأسطورة في مواقع مختلفة من قصائد الموت، وعالج من خلالها موضوعات سياسية ، واجتماعية، وواقعية، متصلة بالأرض والأم والقضية. إذ يقول في ذلك:" بالبعد الأسطوري في القصيدة، تزداد هذه القصيدة غنى، وتزداد رؤى وإنسانية، ويتوقف كل

[1]- النابلسي، شاكر، (1987)، مجنون التراب، دراسة في شعر وفكر محمود درويش،ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات ،ص 665

[2]- شعث، أحمد جبر(2002)، الأسطورة في الشعر الفلسطيني ، ط1، فلسطين، مكتبة القادسية، ص43 .

[3]- عباس، إحسان،(1992) اتجاهات الشعر العربي المعاصر ،ط2، عمان ، دار الشروق، ص128 .

[4]- داود، أنس(1992)، الأسطورة في الشعر العربي،ط3، دار المعارف، ص39 .

ذلك على قدرات شاعرها، وتغلغلُ الأسطورةِ إلى شعري لم يتأت بفعل قصدي أو مدروس، بقدر ماهو انعكاس عفوي لتغلغل هذه التجارب الأسطورية في تجربتي التي تأتي صدى لهذا البعد الثقافي".[1]

لقد استطاع القيسي أن يوظف الأسطورة لتخدم أهدافه الذاتية ، وتجسد تجربته التي يعيشها، ويظهر ذلك عندما أسطر موت أمه، وجعلها تخلد في نفسه حية، فأخذ يرسم ذلك الموت بقالب أسطوري مأخوذ من أسطورة (ممنون وأمه أورورا)[1]، إلا أنه عبث بتلك الأسطورة، حيث تقمص شخصية ممنون، وأخذ يبكي أورورا (الأم حمدة) التي ماتت قبل ابنها، فحمَّل الأسطورة أبعادًا مختلفة من التفجع والحزن والانهيار تفوق ما كانت عليه، يقول في قصيدة (ممنون):

" **لم أمت قبلك من قبلُ،**

لأحظى بنداكْ

لم أمتْ من حربةٍ، أو غربةٍ، حتى أراكْ

لم تشيّعني إلى الشمس يداكْ

ولذا ظلّ نهاري يابسًا، دون حراكْ ".[3]

"استخدم الشاعر أسطورة (ممنون) مفتاحًا ومرجعًا ليصبح حزنه،وتفجعه مفهومًا، فقد حوّل القصائد المتعلقة بأمه من مرثية ابن لأم إلى سيرة ذاتية، سيرة البطولة الإنسانية المجهولة ، وسيرة حمدة التي يحاول ابنها أن يعمم معناها بقدر ما يعمم معنى العذاب، فهي شبيهة بالأسطورة وما هي بالأسطورة.

---

[1]- حوار أجري مع الشاعر محمد القيسي ، أجرى الحوار محمد العامري(الشعر كمعنى للوجود) صحيفة " الفنيق" عمان 1998/6/1 .
[2]- انظر: القيسي، محمد ، الموقد واللهب، حياتي في القصيدة /ص 230 // تقول الأسطورة : أن (ممنون) بطل من مصر حارب مع الطرواديين وقتل ، فأقيم له تمثال ، فكان كلما نزل على ذلك التمثال الندى في الصباح وطلعت الشمس يصدر أنغاما، وتقول الأسطورة أن الندى هو دموع (أورورا) أم ممنون تذرفها حزنًا عليه .
[3]- القيسي،محمد، الأعمال الشعرية،ج2/ص115 .

" لينحن المخيم لأورورا

أرملة الكائناتِ،

سيدة الهجراتِ المتتابعة، وحاضنتي

لينحن الظهر مثل قوسٍ

وليشقني الهدوء في تاج غيابك الفضيّ". [1]

لقد حاول الشاعر أن يصنع مستويين للحياة في قصيدته، المستوى الأول هو مستوى الحياة التي عاشها وعاشتها أمه، والمستوى الثاني هو مستوى الكينونة التي تعلو على مستوى الحياة البشرية ، مما يجعل صوت الشاعر صوتين ، صوت (ممنون الأسطوري) ، وصوت الشاعر الواقعي، ويجعل صورة الأم صورتين تلك المرأة الخالدة خلود الأرض ، وتلك الفلاحة الفلسطينية التي اهترأ عمرها في المخيم . فالحياة ماضٍ يتجسد في ذكريات، وحاضر معيش، والوجود وطن ومنفى ، وجود وغياب".[2]

وفي الأسطورة التموزية، تتجلى تجربة القيسي الشعرية ، لأنها أسطورة تبعث في الحياة الحركة والتجدد[3]، ولكن عند القيسي الأمر مختلف حيث يأخذ من تلك الأسطورة الجانب المظلم – العالم السفلي المظلم– ويوظفه وفقًا لرؤيته الذاتية، فيبث فيها دلالات الوحدة والضياع والخوف من القادم، ويظهر ذلك جليًا في قصيدة **(الدرج السفلي إلى أبهاء لكش)**. يقول:

---

[1]- القيسي،محمد، الأعمال الشعرية،ج2/، ص 117 .

[2]- الأسعد، محمد ، علامة مميزة في الشعر الفلسطيني المعاصر " سيرة امرأة كنعانية اسمها حمدة" جريدة الوطن الكويتية، 1989/4/6 بتصرف.

[3]- ينظر : فريزر، جيمس(1982)، أدنيس أو تموز،ط2، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، بيروت، المؤسسة العربية، ص20// **حكاية " تموز وعشتار" من الأساطير البابلية، وتقول الأسطورة أن اللإلهة(الأم الكبرى عشتار) يتجسم فيها كل قوى التناسل في الطبيعة ، ولكنها تفقد زوجها تموز، بموته ويهبط إلى العالم السفلي المظلم، فترحل للبحث عنه واستعادته، وفي أثناء غيابها تتعطل عاطفة الحب والإخصاب في الحياة ، ويهدد الفناء الكائنات الحية جميعها، فيتدخل الإله العظيم "أيا " ويبعث رسولًا لينقذ الحياة مما اعتراها من الجدب والفناء، ، غير أن " إرش كيغال" آلهة أقطاب الجحيم لاترضى إلا مكرهة بأن تسمح لعشتار بالعودة إلى الحياة الطبيعية ، مصطحبة معها "تموز" لكي تنتعش بعودته .**

" **بلا أوسمة أو،**

سمة نزلتُ

الدرجَ السفليَّ إلى أبهاء أميرة لكشْ

لا رواةٌ يتبعون أثري

أو نائحاتٌ،

وأكملت أثلامي الغميقةَ ،

أَك ملْ تُ نِي

ناقصة

ظلّي يا خيبتي بي

وبي ما لا أرى! ".[1]

ويبدو أن الشاعر ما نزل إلى ذلك العالم إلا ليعود كما عاد تموز، متخلّصًا من الظلم والقهر، فتعود مظاهر الحيوية والحياة إلى فلسطين ويتلاشى الاحتلال، إلا أن هذا الأمر لم يحدث،حتى إنه لم يجد من يعيده إلى ما كان عليه، فيقول:

" **وأنا نزيل الشّكْلِ**
في وادٍ غير ذي زرعٍ
لاتُنجدني صَرخةٌ
أو يدٌ تهزُّ كتفي
مدركًا بامتياز باذخٍ، ونصف صحوٍ
كيف ثانيةً استدرجني
الضيف إلى النوم
على سدّةٍ عاليةٍ

[1]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية،ج 3/ص 397

وفصفص العظامَ
كيف عزيف الريح يدوّي في
ممراتِ الجمجمةِ، الطائر الفضيُّ
كيف صارَني
وصار إلى وحشةٍ سريري
فما يفضُّ شيءٌ شيئًا ".[2]

وفي قصيدة أخرى، يوظف الشاعر **(أسطورة بَعل)**[1] على أنها رثاء للوطن، والواقع الذي يعيشه، فَقلب مفاهيم الخصوبة والعطاء التي أتت بها الأسطورة إلى عزاء وندبة، مستعينًا بمفردات الألم والحاضر الممزق، يقول:

" **وليس على "أوغاريت" سوى الندب،**
يـا ابنـة
ضِلْعـي
وأُخـتي
وحـيدٌ
أنـــا
لم يَعدْ سيّدًا للغيوم ولا ملكًا أو إلها
لم يَعدْ " بعل " يرعى الحقولَ،
ويستظهرُ العاصفات، فلا زرع طالَ،
البلاد إذنْ دخلتْ في الحِدادِ ". [2]

ولقد ألبس الشاعر "الإله بعل" الثوب القلسطيني بكل ما يحمله من قهر ومعاناة وفقدان وضياع، فيعزز بذلك معاني الغربة والمنفى والتخاذل التى تحيط به، و يوصل تجربته النفسية التي يعيشها.

---

[2]- المصدر نفسه /ص396

[1]- **الإله بعل في أساطير أوغاريت السورية، من أهم وظائفه الدفاع عن البشر والآلهة، وهو الرزاق واهب المطر وصوته الرعد وعَدّ الخصب، وهو المخلص الذي يحكم من جبل صافون (جبل الأقرع) ويرد اسمه بصيغ عدة، (عليان بعل) القدير، (زبل بعل أرص) أمير بعل الأرض و(بعل عنت محرثت) بعل الأرض المحروثة، (إيل هدد) الإله ،أو (صغر هدد) الصغير أو (زبل بعل غلم) الأمير بعل الشاب، ويوصف بعل بابن (دجن)، أما (عنات) فهي أخته.** ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%B9%D9%84

[2]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية،ج2/ص532.

" النهارُ حزين لنفسهِ وأوغاريت صامتةْ

الأودية لا تهدر،

الغيومُ لا تصرِّفُها العاصفةْ

لأنَّ بعلَ بن أيلْ

مشدودٌ إلى جبلٍ، ويداهُ مقيّدتانْ

مَنْ يعزفُ الرعدَ، ويجزلُ العطايا ".[3]

وما تطرّق الشاعر القيسي لأسطورة "جلجامش" إلا إشارة لما يجول في فكره حول قضية الموت، فكلاهما على علاقة بالموت ، إذ إنّ جلجامش حاول أن يكشف سر الموت ويحاربه بالبحث عن الخلود، أما القيسي فحاول البحث عن عالم جديد من خلال الموت للتخلص من عالم لايفهمه، يهدده بالضياع والفناء، ويبعده عن أرضه.

" وأواصلُ في الدغل أبعدَ في

غزلي وقطوفي

أواصل خفقَ دُفوفي

وأرجو من الروحِ أن لا

تخونَ الرنينَ، وأن لا تهونَ،

إذا جدّ أمرٌ،

وجمّلَ هذا المساءُ لها نزهةً عن براريك،

أواه، روحي الوحيدةْ

ثملتْ بأفانين هذا الدوارِ،

وطافتْ حدود الميادينِ، ما في البساتين منكِ سواك،

وليس لجلجامش الآن من حجةٍ

ليس لي غير هذا الركون،

إلى ما أرى

وحياتي الجديدة وإلى آخر الدغل أمشي . إلى آخري ".[1]

3- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية ج3/ ص 452- 453 .

1- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية،ج2/ ص543-544 .

ويشير أيضًا إلى (أسطورة طروادة [2]) دون إسهاب أو تفصيل، ويبدو أن الغرض من الإشارة هنا هو تعميق مقاصد الشاعر، ووصف الحالة بلمسة أسطورية، تضفي نوعًا من الخصوبة والثراء للمفردات والتراكيب، وتعطي الرؤية الشعرية أبعادًا تجذب القارئ إليها، فقصيدة (**الحداد يليق بحيفا**)،يأتي الشاعر على ذكر لفظة طروادة واصفًا بها حيفا والحصار الذي وقعت تحته من قبل العدو الصهيوني، دون أن يحرّك أحد ساكنًا من حولها. يقول:

" إلى الجسر.. والنهرُ كان يجفُّ ، يجفُّ ، ويلْتفُّ..
في بُردةٍ منْ حدادْ
ويحضن صفصافةً وهي تبكي، تُغنّي البعادْ
وتسقطُ أوراقها
وطروادة القلبِ غارقةٌ في الحصارِ، ونهبٌ لسيلِ جرادْ
فماذا تقول الجبال وأحراشها والوهادْ؟
وماذا يقولون، ماذا يقولونَ..
ماذا ..؟".[1]

إن توظيف القيسي للأساطير ذو دلالة ومغزى سعى إليه الشاعر، كما استطاع الارتقاء بمستوى الرمز الأسطوري بوصفه أداة فذة تعبر عن صراع الإنسان ضد الظلم والقهر والحرمان بما يحقق له الحرية والانعتاق من كل قيود الواقع المُكبلة لطموحاته، فجسّد المعاناة الحقيقية للإنسان العربي الفلسطيني من خلال توظيف مجموعة من الأساطير، واستحضارها من زمنها، وبث الروح الطليقة

---

[2]- **طروادة: أسطورة يونانية قديمة تدل على الحيلة التي صنعها الأوليسيون في فتح مدينة طروادة ، وتتمثل هذه الحيلة بصناعة حصان كبير الحجم خاوي الجسم فيكون بداخله من أقوى شجعان الهيلانيين حتى إذا حلّ الليل خرج الأبطال المختبؤون ، وفتحوا أبواب المدينة** ، انظر : خشبة، دريني (1957)، قصة الإلياذة (هوميروس) ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة .

[1]- القيسي، محمد، الأعمال الشعرية،ج1/ص 224 .

في الرفات، وحمّلها مدلولات جديدة، مكّنته من التعبير عن همومه واهتماماته كمواطن عربي يعاني الحيف والقهر .[2]

ولعلّ من أبرز الدوافع التي تدفع الشاعر إلى التناص الأسطوري، هي الدوافع النفسية، حيث تكمن رغبته في إثراء نصه ، وإضفاء بُعد جديد يزيد من غناه عند التحليل والمناقشة، وربما هناك دوافع سياسية، تكمن في خشية الاصطدام المباشر مع السلطة، حيث يلجأ الشاعر إلى الأسطورة، أو الرمز، أو القناع، ليعبر عما يجول في دواخله من رفض أو تجرد أو احتجاج، وقد تكون هناك دوافع اجتماعية تجبر الشاعر اللجوء إلى التناص الأسطوري أو غيره من ظواهر الشعر حتى لا يقع تحت سطوة محاسبة التقاليد والأعراف الاجتماعية، وقد يكون التناص ناتجًا عن طريق التداعي للأفكار، دون وعي مسبق، للكاتب في الربط بين النصوص، وربما كان هذا النوع من التناصات أكثر ملاءمة مع واقع التجربة الشعرية لدى الشاعر؛ لارتباط هذه التجربة في جانب منها بلا وعي الشاعر.[1]

إن تجربة محمد القيسي الشعرية الخاصة بالموت غنية بمصادر المعرفة وألوان الثقافات، مما جعل من قصائده لوحات فنية غنية بالدلالات الرمزية ، والإيحاءات العميقة التي تكسب تجربته تمايزًا ملحوظًا، فكانت العنوانات رسائل ذات طابع جمالي، وشعرية اللغة تحمل طاقات تعبيرية عالية ، وأما التناص الأسطوري فقد أظهر قدرة الشاعر على صياغة شعره بقالب أسطوري معبر، بالإضافة إلى قدرته على التشخيص الذي يمنح الصورة الشعرية أبعادًا دلالية مختلفة.

---

[2]- اللوح، مراد عبد الله ، شعر محمد القيسي "دراسة فنية"،ص 106 بتصرف.
[1]- النوافعة، جمال فلاح،(2008)، أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني الحديث، رسالة دكتوراه، الأردن، جامعة مؤتة، ص 81 .

الخــاتــمــة

لقد انطلق الشاعر محمد القيسي في رحاب الموت ناقلًا شعوره تجاهه من خلال قصائده، فأصبح بالنسبة له رؤية، تتضح أبعادها من خلال تجاربه ، والحياة التي عاشها.

وهذه الرؤية للموت ظهرت في شعر القيسي على هيئة أشكال مختلفة ، فكانت أشكال الموت ذاتية وجمعية وكونية وروحية ومادية ، فالموت عنده لايعني موت الجسد فقط، إنما هناك موت الأم ، موت الأحبة ، موت الأنا ،موت المنفى، موت الطبيعة ،موت القضية ، وحتى موت القصيدة.

ولأن أسلوب القيسي الشعري من الطراز الحديث ، أي على نظام القصيدة المعاصرة، فإنه استطاع أن يبثّ إيحاءاته ودلالاته باستحكام، واستخدم المفردات والتراكيب استخدامًا بعيدًا عن تصنيع اللفظة أو الصورة ، فجاءت اللغة مسبوكة و متماسكة، وما الجماليات التي ظهرت بقصائد الموت للقيسي إلا نتاج اطلاعه على ثقافات الأمم السابقة ، وقراءة تاريخهم، فوظفها في شعره لما لها من خصوصية وتنوع ، فتثري النص الشعري وتظهر قيمته الفنية والجمالية، فعمد إلى لغة شعرية معبرة، وصور دلالة ترسم الواقع كما هو، وما اتكأ على التناص الأسطوري إلا ليبوح بما لا يقال.

وهكذا فإن رؤية محمد القيسي للموت تنبع من تجربة مثقفة حزينة منكسرة، تعرض أحداث التهجير والاغتراب والمنفى، وهموم الذات والوطن، ترصد تفاصيل ملونة بالألم والخيبة والأسى لشعب ما زال حيًّا وتنبض روحه بالتحرير.

المصادر والمراجع.

- **القرآن الكريم** .

- إبراهيم، زكريا (1971). **مشكلة الإنسان**، ط1 ، مكتبة مصر – دار مصر للطباعة.

- الآغا، يحيى زكريا،(1996). **جماليات القصيدة في الشعر الفلسطيني المعاصر**، الدوحة ، دار الثقافة للطباعة والتوزيع.

- أبو ديب ، كمال،(1987). **في الشعرية**، ط1، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.

- اسماعيل،عز الدين،(1968).**الأسس الجمالية في النقد العربي**،القاهرة، دار الفكر العربي.

- اسماعيل، عز الدين،(1992). **الشعر العربي الحديث**، ط5 ،القاهرة، دار الفكر العربي.

- أبو العزم، طلعت ،(1995) .**الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث**،مصر، دار عين للدراسات.

- باختين، تودوروف،(1996). **المبدأ الحواري** ، ترجمة فخري صالح، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

- بدوي،محمد مصطفى،(د.ت). **كولردج**، القاهرة ، دار المعارف.

- بركة، نظمي محمود،(1995).**الاتجاه الرومانسي في الشعر الفلسطيني المعاصر**، دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع.

- بنيس، محمد،(1985)، **ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية**، بيروت، دار تنوير.

- بنيس، محمد،(1989).**التقليدية**، الدار البيضاء، دار توبقال.

- الجزار، محمد فكري(1998)، **العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي**، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب.

- جونسن، ر.ف،(1982). **موسوعة المصطلح النقدي** ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، بغداد، دار الرشيد للنشر .

- جيدة، عبد الحميد(1980). **الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر**،ط1،بيروت ، مؤسسة نوفل.

- الجيوسي، سلمى (1997). **موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر**، الأردن: المؤسسة العربية للدراسات النشر.

- حافظ، صبري،(1997).**أفق الخطاب النقدي**، ط1، القاهرة ، دار شرقيات.

- حسيبه، مصطفى(2009). **المعجم الفلسفي** ط1 بيروت ، دار أسامة للنشر والتوزيع.

- خشبة، دريني (1957). **قصة الإلياذة (هوميروس)** ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة،

- الخطيب، عماد الدين،(2006). **الأسطورة معيارًا نقديًا(دراسة في النقد العربي الحديث والشعر العربي الحديث)**،عمان،جهينة للنشر .

- خليل، ابراهيم ،(1998). **محمد القيسي /الشاعر والنص**, عمان ، دار فارس.

- خليل، ابراهيم،(2006). **من معالم الشعر الحديث في فلسطين والأردن** ،ط1 عمان، دار مجدلاوي

- الخوري، لطفي،(1991). **معجم الأساطير،ج1**، بغداد، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة.

- داود، أنس(1992). **الأسطورة في الشعر العربي**،ط3، دار المعارف.

- درويش، محمود (1994). **ديوان محمود درويش**، ط1 ، بيروت ، دار العودة.

- درويش، محمود،(2000).**جدارية محمود درويش**، بيروت، دار الريس.

- دنقل، أمل (1998). **الأعمال الشعرية الكاملة** ،ط2، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

- ستولنتز، جيروم،(1981).**النقد الفني . دراسة جمالية وفلسفية**، ترجمة فؤاد زكريا . بيروت . المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- سويف،مصطفى،(1969).**الأسس النفسية للإبداع العربي**، ط3، القاهرة، دار المعارف..

- السيّاب، بدر شاكر (1997).**ديوان بدر شاكر السيّاب**، بيروت : دار العودة.

- السيد، غسان (1978).**إشكالية الموت في أدب جورج سالم، غابرييل مارسيل**، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- الشابي، أبو القاسم،(1987). **ديوان أغاني الحياة**، تونس، دار المعارف للطباعة والنشر.

- شعث، أحمد جبر(2002).**الأسطورة في الشعر الفلسطيني** ، ط1، فلسطين، مكتبة القادسية.

- شورون جاك (1984). **الموت في الفكر الغربي**، ترجمة كامل يوسف ، الكويت، سلسلة عالم المعرفة.

- الشيخ، خليل،(1997). **نصوص شعرية من العصر الحديث**،ط1، عمان، منشورات جامعة القدس المفتوحة.

- صدوق، راضي (2000). **شعراء فلسطين في القرن العشرين – توثيق انطولوجي**، ط1،بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- العامري، محمد،(2001).**المغني الجوال– دراسات في تجربة محمد القيسي الشعرية**، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- عباس، إحسان،(1992). **اتجاهات الشعر العربي المعاصر**،ط2، عمان ، دار الشروق.

- عبد الخالق، أحمد محمد،(1987). **قلق الموت** ، الكويت، سلسلة عالم المعرفة.

- عبد النور، جبور، (1979). **المعجم الأدبي**، بيروت، دار العلم للملايين.

- عبيد ، محمد صابر،(2005). **تمظهرات التشكل السير ذاتي قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية**، ط1 ، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.

- عبيد،محمد صابر(2007). **المغامرة الجمالية للنص الشعري** ،عمان، عالم الكتب الحديث.

- عبيد، محمد صابر،(2010). **سيمياء الموت – تأويل الرؤيا الشعرية** ، ط1، دمشق، ، دار نينوى.

- العزب، محمد أحمد (د.ت). **أصول الأنواع الأدبية**، المنصورة: دار والي الإسلامية للنشر والتوزيع.

- العف،عبد الخالق(2000).**التشكل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر**،ط1،السلطة الوطنية الفلسطينية، مطبوعات وزارةالثقافة.

- علي، إبراهيم محمد،(2000). **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، الناشر جروس برس.

- العودات، حسين (1986). **الموت في الديانات الشرقية** ، ط1، دمشق : دار الفكر.

- عوض، ريتا (1978). **أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث** ، ط1، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- عيد، رجاء،(1985). **لغة الشعر**،ط1 ، الاسكند رية، منشأة المعارف.

- فريزر، جيمس(1982). **أدنيس أو تموز**،ط2، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، بيروت، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع.

- قباني، نزار(1983). **الأعمال الكاملة،ج2** ، ط12، بيروت.

- قطب، سيد(2003)، **في ظلال القرآن**، ط32،القاهرة، دار الشروق.

- قطوس، بسام،(2002).**سيمياء العنوان**،ط2، عمان، وزارة الثقافة.

- قطوس، بسام،(2011).**عتبة التأويل وعتمة التشكيل**، عمان،وزارة الثقافة.

- قطوس، بسام موسى،(2013) .**أفخاخ النص: الرحلة إلى المعنى**،ط1 ، عمان، دار الفضاءات للنشر والتوزيع.

- القيسي، محمد،(1990). **عائلة المشاة**، ط1، عمان، بيت عيبال للكتاب.

- القيسي، محمد (1994). **الموقد واللهب – حياتي في قصيدة**، ط1عمان –الأردن : منشورات وزارة الثقافة.

- القيسي، محمد(1997). **كتاب الابن سيرة الطرد والمكان**، ط1 بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

- القيسي، محمد،(1999). **الأعمال الشعرية** ط4،بيروت، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع.

- القيسي، محمد (2002). **الدعابة المرة، مقاربات المرأة ،المنفى**،ط1دمشق ، دار كنعان للدراسات –والنشر.

- **الكتاب المقدس، رسائل بولس الرسول**، بيروت، دار الكتاب المقدس.

- كمال، يشار(2005).**أسطورة جبل آغري(رواية)**، ترجمة شوكت اقصو، جبلة السورية، دار بدايات للنشر والتوزيع.

- لويس، سي دي،(1982). **الصورة الشعرية** ،ترجمة أحمد نصيف الجبابي، مالك صبري،بغداد، دار الرشيد.

- محمود، حسني(1984). **شعر المقاومة الفلسطينية"دوره وواقعه"ج3**، الزرقاء ، الوكالة العربية للتوزيع والنشر.

- مشوح، وليد (1999). **الموت في الشعر العربي السوري المعاصر**، دمشق: مطبعة اتحاد الكتاب العرب .

- مصطفي، خالد علي (1986). **الشعر الفلسطيني الحديث** ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.

- مفتاح،محمد،(1992) . **تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص**، ط3، الدار البيضاء، مركز الثقافي العربي.

- مفتاح،محمد،(2002) . **تحليل الخطاب الأدبي**،ط1، الدر البيضاء، المركز العربي.

- الملائكة، نازك، (1974). **قضايا الشعر العربي المعاصر** ، بيروت : دار العودة.

- منصور، محمد منير(1987). **الموت والمغامرة الروحية**، دمشق: دار الحكمة.

- ابن منظور،محمد بن مكرم(1997). **لسان العرب**، ط6، دار الفكر .

- الموسى، خليل(2000).**قراءات في الشعر العربي الحديث المعاصر**، اتحاد الكتاب العرب.

- النابلسي، شاكر، (1987). **مجنون التراب، دراسة في شعر وفكر محمود درويش**،ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات.

- ناصيف، مصطفى،(1983). **الصورة الأدبية** ، بيروت ، دار الأندلس.

- النجار، عبد الفتاح،(1998)، **حركة الشعر الحر في الأردن(1979-1992)** ،إربد، مطبعة البهجة.

- هلال، عبد الناصر،(2005). **تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر**،القاهرة ، مركز الحضارة العربية .

- هلال، محمد غنيمي،(1982). **النقد الأدبي الحديث**، ط2، بيروت، دار العودة.

- يحياوي، رشيد،(1998). **الشعر العربي الحديث" دراسة في المنجز النصيّ**"، الدار البيضاء، افريقيا الشرق.

الرسائل الجامعية :

إسماعيل، نداء علي يوسف،(2012).**التناص في شعر محمد القيسي**،(رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

جنيدي،رضوان،(2013). **جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم**، (رسالة ماجستي، غير منشورة) جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.

الحنفي، معاذ محمد،(2006).**البنية الإيقاعية في الشعر الفلسطيني المعاصر**، (رسالة ماجستير، غير منشورة)الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين.

شما، ديبة زياد،(2002). **الموت في الشعر الفلسطيني المعاصر 1963-1995**(رسالة ماجستير، غير منشورة) ،جامعة دمشق، سوريا.

درويش، عيسى سلمان،(2003)، **الموت في شعر السياب ونازك الملائكة**، (رسالة ماجستير، غير منشورة) جامعة بابل، بغداد، العراق

صيام،بسام إسماعيل(2006).**الشعر الفلسطيني بعد اتفاقية أسلو**(رسالة ماجستير، غير منشورة) الجامعة الإسلامية ،غزة، فلسطين.

عصلة، أحمد ،(1995). **الموت في الشعر العربي الحديث"1917-1967**"(أطروحة دكتوراة، غير منشورة)، جامعة حلب، سوريا .

عمايرة، حنان إبراهيم،(2005). **شعر محمد القيسي "دراسة أسلوبية**"(رسالة ماجستير غير منشورة) الجامعة الأردنية ، الأردن.

اللّواح، مراد عبد الله (2013). **شعر محمد القيسي "دراسة فنية**"، (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة الأزهر غزة ، فلسطين.

النوافعة، جمال فلاح،(2008)، **أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني الحديث**،(رسالة دكتوراه غير منشورة) جامعة مؤتة، الأردن.

هنّي، لخضر،(2005) **الرؤية والأسلوب في شعر دعبل الخزاعي "دراسة أسلوبية**"، (رسالة ماجستير، غير منشورة)،جامعة الحاج لخضر- باتنة ، الجزائر.

المجلات والدوريات :

ادريس،عبد النور (2012)، "بين الأنا الشعري والأنا الصوفي" ،**مجلة الحوار المتمدن الالكترونية**،العدد3692،ابريل.

الأسعد، محمد ،(1989)،"علامة مميزة في الشعر الفلسطيني المعاصر" سيرة امرأة كنعانية اسمها حمدة" **جريدة الوطن الكويتية**، 1989/4/6.

بزيع، شوقي،(1997) ،" كوكب الحياة البديل"، **مجلة (الآداب) اللبنانية**، العدد 2/1 كانون الثاني وشباط.

حمداوي، جميل،(1997)، "السيميوطيقا والعنونة"، ، **مجلة عالم الفكر** ، المجلد 25، العدد:3، ص:79-112.

خليل ابراهيم،(2013)،" مقام البيت في شعر محمد القيسي" **صحيفة** "**قاب قوسين** " **الالكترونية**، 2013/3/20.

داغر، شربل(1996)، "التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري"، **مجلة فصول**، م 16، عدد21 ص127.

صالح، فخري،(1981) ،"الوطن يرحل في إنسان ، موضوعة الاغتراب عند القيسي"، **مجلة الآداب اللبنانية** /العدد5-6 /ص71

صلاح، محمد (2008)، "جماليات المكان في ديوان (لاتعتذر عما فعلت) للشاعر محمود درويش"،م**جلة جامعة النجاح**،،م22،عدد2 ص 485

العامري، محمد،(1998)، (الشعر كمعنى للوجود)الشاعر محمد القيسي ، **صحيفة** " **الفنيق**" عمان 1998/6/1 .

عبد العزيز، أحمد(1983)، "تأثير لوركا في الأدب العربي المعاصر"، **مجلة فصول**، مج3، ع4.

عبد اللطيف ، حمادة(2015)، "الفرق بين الجمال والجمالية في الشعر"، **جريدة القبس** العدد15000، 2015/3/6.

عبيد، محمد صابر،(2000)، "الموقد واللهب، مفاتيح التجربة وتحولات الشكل الشعري"، **مجلة عمان** عدد 55/كانون الثاني 2000.

عبيد، محمد صابر،(2009)، "محمد القيسي سيرة الموت ونبوءة الرؤيا الشعرية" **مجلة نزوى الالكترونية**،العدد59.

عويط ،عقل،(1995) "أذهب لأرى وجهي :لغة رومانسية تكتب سيرة المنفى" ، **جريدة الشرق الأوسط** ، 1995/9/1 .

قطوس، بسام،(2015)،" شعرية الرواية، رواية الشعرية،قراءة في ذاكرة الجسد" **مجلة جامعة الزرقاء الأهلية** بحث مرقون بالآلة الكاتبة ومرسل للنشر 2015// ص 7.

القيسي، محمد،(1991)، **يوميات جرش**،العدد 9 ، ص 7.

القيسي، محمد،(1992) مقالة (تآلف الأشكال والأجناس) **جريدة انوال المغربية**. 1992/11/24

القيسي، محمد،(2002)،" **مجلة عمان** /العدد 95، ص20.

موكاروفسكي،يان،(1984)،"اللغة المعيارية واللغة الشعرية"،ترجمة ألفت الروبي، **مجلة فصول**، م5،ع1، ص 42.

. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%B9%D9%84